الرحلة اليمانية

للشريف حسين بن علي



بقلم

شرف عبد المحسن البركاتي

الرحلة اليمانية

لشريف مكة حسين بن علي

* اسم الكتاب: الرحلة اليمانية لشريف مكة حسين بن علي
* تأليف: شرف عبدالمحسن البركاتي
* الطبعة الأولى لشركة دار الورّاق للنشر المحدودة - لندن: 2007.
* الطبعة الثانية: 2009.

* تصميم الغلاف: جبران مصطفى.
* صورة الغلاف: الشريف حسين بن علي.
* الناشر: شركة دار الورّاق للنشر المحدودة - لندن - بيروت.

First edition by Alwarrak Publishing Ltd. 2007

Second edition 2009

www.alwarrakbooks.com

التوزيع

Alwarrak Publishing Ltd.
Suite 500, 56 Gloucester Road,
London SW7 4UB. UK
Fax: 0044-207 581 9213
Tel: 0044 208-7232775
warraklondon@hotmail.com

الفرات للنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - بناية رسامني - طابق سفلي أول
ص. ب 113-6435 بيروت - لبنان
هاتف: 00961-1-750054
فاكس: 00961-1-750053
e-mail: info@alfurat.com

الرحلة اليمانية

لشريف مكة حسين بن علي

بقلم:
شرف عبد المحسن البركاتي

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلّا على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد المرسلين. وعلى آله وأحزابه المؤيدين بالنصر المبين. في كل وقت وحين.

أما بعد، فيقول الفقير إلى الله تعالى شرف بن عبد المحسن البركاتي الحسني إن الدهر أكبر واعظ للمتّقين. وأنفع مذكر للمتذكرين، مهما أمعنوا فيما كتب من الحوادث على صحائفه، وأجالوا بَصَر الفكَر في عجائب تقلباته وتقلبات عجائبه، ولما لم يمكن الاطلاع على خُطَبه البليغة إلّا لمن شهد حوادثه أو قرب ممن شاهدها حتمت الإنسانية على المحبين لنفع أبناء جنسهم تسطير حوادثه ذوات الشأن، وتبيينَها في المصنفات أتمَّ بيان ليكون الناس سوَاسِيةً في الاطلاع على زواجر الدهر المخبوءة في حوادثه، ونصائحه

المبثوثة في غرائبه، لذلك أردت أن أضع هذا المؤلف أبيّن فيه خبر الثورة اليمانية التي أجج نارها «الإدريسي» وأطفأها الله تعالى على يد مؤسس دعائم الأمن ومشيد قصوره، حامل لواء السكينة، وباثّ روح الطمأنينة، مولانا وسيدنا صاحب الدولة والسيادة (الشريف حسين باشا) أمير مكة المكرمة حتى يعرف الناس كيف يدعو زعماء الفتن إلى الباطل باسم الحق. وكيف يتزيا البغاة المارقون بزي المصلحين الصادقين ليكونوا على بصيرة من غوائلهم ولا يرموا بالأنفس إلى حبائلهم، ولِيَقْلع بسطاؤهم عن الاكتفاء بظواهر أولي التلبيس وليتعودوا العبور إلى بواطنهم وسبر غورهم. فكم من مهلكة جرّ إليها الاكتفاء بالخبَرِ عن المخَبَرْ وكم من هُوَّةٍ أسقط فيها الاغترار بالمظهر. والله أسأله أن يكفي الأمة الإسلامية خِدَعَ الخونة المدلسين وأن يؤيد دولتنا العلية العثمانية بدوام نصره المبين. وأن يديم خليفتنا الأعظم، وحامي حوزة هذا الدين المكرم، ناصر أهل الحق وقامع أهل البغي والعناد (مولانا السلطان محمد الخامس رشاد) محروساً بعين العناية الأزلية، وظلاً ظليلاً تأوي إليه سائر الأمة المحمدية، إنه تعالى وليّ ذلك ومولیه، ومانحه ومعطيه.

نسب الإدريسي ومولده ومنشأه
وإحياؤه لهذه الفتنة

هو محمد بن علي بن المولى الجليل السيد أحمد بن إدريس الذي تنسب إليه الطريقة الإدريسية. ولد السيد أحمد بن إدريس ببلدة من أعمال مراكش بالغرب وتربى فيها ثم هاجر إلى مكة المكرمة وأقام بها عدة سنين، وكانت له شهرة عظيمة بها فإنه كان من فحول العلماء العاملين والصوفية المحققين أخذ عنه أهل الحرمين الشريفين العلوم الجمة ودخل أكثرهم في طريقته وممّن أخذ عنه طريقته وهو بمكة (السيد محمد السنوسي) المتوفى بالجغبوب التابعة لمتصرفية بني غازي من أعمال ولاية طرابلس الغرب، ثم رحل السيد أحمد المذكور إلى قائم مقامية «صبياً» التابعة لمتصرفية عسير وأقام فيها حتى توفي بها عن أولاده السيد عبد المتعال والسيد علي وكانا على منهج والدهما في التقوى والعلم والتصوف فانتشر صيتهما

حتى ملأ تهامة والحجاز، ثم توفي السيد علي ودفن مع أبيه السيد أحمد وله عدة أولاد منهم: زعيم هذه الفتنة ومؤجج نارها محمد بن علي الإدريسي. تربى هذا الناكب عن جادة سلفه الطاهر «بصبيا» ثم قدم مكة عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية وأقام بها عدة شهور، ثم قصد مصر لتلقّي العلوم بالأزهر الشريف وأقام بها ست سنوات وفي خلالها اختلط به لفيف من المفسدين الذين يخدمون سياسة دولة إيطاليا وأظهروا له الصداقة والمحبة وأنهم من المنتسبين إلى طريقة جده السيد أحمد، ولم يزالوا به حتى مال إليهم بكليته وجعلهم من أخلص أصدقائه فزينوا له استيلاءه على اليمن واستحواذه على إمارة عسير وتهامة، ووسوسوا إليه بأن الدولة العلية ظالمة طاغية مجحفة لا سيما بأهل اليمن، ولا بد أن يزول ظل هذه الدولة من هذه الولاية وتستولي عليها دولة أجنبية فأنتم أولى بأوطانكم، فأشرب قلبه من هذه الوساوس السقيمة الشيطانية وعزم على محاربة الدولة متى مكّنته الفرص، ثم سافر مسرعاً إلى مقرّه الأصلي «صبيا» وابتدأ يبث الفتنة في اليمن ويتحين الفرص المناسبة لنفوذ أغراضه، ولم يزل كذلك حتى إذا هبّت زوابع الفتن في داخلية البلاد العثمانية حين انقلبت الحكومة دستورية واشتغلت بإطفاء الفتن

الداخلية كفتنة الدروز والأرناؤود والإمام يحيى الثائر «بصنعا» ظن أن هذا الوقت هو الذي كان يترقبه والأوان الذي كان ينتظره لشن الغارة على الدولة العلية وإدراك أمنيته التي سافر لأجلها من مصر، فقام في وجه الدولة يؤلب عليها النفوس ويجمع لها الجموع ويجيش لحربها الجيوش وعندما شعرت الدولة بأمره أرسلت إليه وفداً ليتعرف مقاصده وجعلت رئيس هذا الوفد (الشيخ توفيق الأرناؤودي) أحد رجال الطريقة الإدريسية، وكان هذا الشيخ يرجو أن يتم على يده عقد الاتفاق بين الدولة والإدريسي، على ما فيه صلاح العباد والبلاد، وأرسلت الدولة مع الوفد جيشاً تحت قيادة (سعيد باشا) إلى «جيزان» ميناء صبيا وتبعد عنها بنحو ست ساعات للراجل ولما وصل الجيش إلى جيزان أقام بها وتوجّه الوفد مع رئيسه (الشيخ توفيق) إلى صبيا لمقابلة الإدريسي واستكشاف خبره، فلما التقوا به عمي عليهم أمره بدهائه وأخفى عليهم ما تكنّه نفسه وأظهر لهم أنه ليس بثائر وأنه لا يريد إلّا الإصلاح ما استطاع، ولم يزل يموّه عليهم حتى اعتقدوا صدقه وتيقّنوا إخلاصه للدولة، ولما آنس انخداع الوفد بزخارفه وتصديقهم لقوله، طلب منهم حضور سعيد باشا قائد الجيش لينظر بنفسه إخلاصه وجماعته للدولة ولأمير المؤمنين، فلبى طلبه الشيخ

توفيق وأرسل رسولاً إلى سعيد باشا ليحضر إلى صبيا، وعند ذلك أصدر الإدريسي أمره إلى من التفّ به من قبائل العرب وهم إذ ذاك نحو خمسة آلاف رجل، أن يخرجوا لمقابلة سعيد باشا ويظهروا له التعظيم والإجلال ويعلنوا إخلاصهم لأمير المؤمنين حتى يغترّ به القائد كما اغترّ به الوفد، فلما أقبل القائد عليهم صاحوا صيحة واحدة (اللّهم انصر أمير المؤمنين السلطان محمد رشاد) فلم يرتب سعيد باشا حين ذلك في إخلاص الإدريسي وأيقن أنه لا يتم إصلاح اليمن إلّا على يد هذا الرجل. ولولا هذه الخديعة التي خدع بها الوفد وقائد الجيش معاً لكان في إمكان سعيد باشا احتلال (صبيا) وضبط الإدريسي، فإن سلطته في هذا الوقت لم تكن تخطّت قائم مقامية صبيا ولكن ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ ولم تقف مخادعة الإدريسي لهم عند هذا الحد، بل ما زال يظهر لهم أنه مخلص للدولة وخادم لأمير المؤمنين ولا قصد له إلا إصلاح اليمن وتهذيب أخلاق أهله وبثّ العلوم في أجزاء تهامة، حتى يكونوا أكبر عون للدولة العلية وأظهر لهم أنه متعهد بمد الأسلاك البرقية والسكك الحديدية إلى غير ذلك من دعاويه المزخرفة، ولما آنس أن أظفار خداعه قد علقت بهم وأن زخرفه قد راج عليهم، طلب منهم إحضار (سليمان باشا)

متصرف عسير حتى يكون هو وإياه يداً واحداً على إصلاح اليمن، ويزول سوء التفاهم من بينهما، فلم تفطن الجماعة لمكيدته بل سارعوا لإجابة دعوته وأرسلوا رسولاً من قبلهم إلى (أبها) عاصمة عسير لإحضار سليمان باشا إلى (صبيا) وبينها وبين أبها سبعة مراحل، فحضر سليمان باشا على كُرْه منه فلما تمّ اجتماعهم طلب الإدريسي أن ترفع الدولة العوائد القديمة وتقنع بالزكاة الشرعية من المحصولات الزراعية والمواشي، وأن يكون هو المكلف بجمع الزكاة على أن يكون له في نظير ذلك الثلث منها، والتزم أن يؤلف جيشاً من الوطنيين لحفظ الوطن، ولما تمّ الاتفاق على ذلك طلب الإدريسي من سعيد باشا أن يُكْتَب عقد الاتفاق ويُمضى من الباشا ومنه وأن يرسل الباشا لكافة القبائل من تهامة إلى عسير كتباً يأمرها فيها بأن تكون خاضعة لأوامر الإدريسي حتى يتمكن من الإصلاح الحقيقي وجمع الزكاة ومد الأسلاك البرقية والسكك الحديدية متى طلبت الدولة ذلك، فانخدع القائد والوفد واستحسنوا ذلك وأجابوه إلى ما طلب، ثم سافر سعيد باشا بجيشه إلى (صنعاء) للانضمام إلى الجيش المحارب للإمام يحيى، وسافر الوفد فصفا الجو للإدريسي وجعلت سلطته تمتد يوماً فيوماً، وصار لا يألو جهداً في أنفاذ

مقاصده السيئة ضد الدولة الإسلامية، ودارت المخابرات بينه وبين الذين على شاكلته بمصر بواسطة وكيله المقيم في مصوع وجعل يرسل الكتب لكافة مشايخ قبائل تهامة وعسير يظهر لهم فيها خلاف ما أبداه للوفد وبدأ بتأليف عربان تهامة حتى اتحدوا معه وصاروا طوع أمره في أسرع وقت، وذلك لاعتقادهم الصلاح والتقوى في سلفه وظنهم أنه على منوال آبائه ومما زادهم لأمره انقياداً وقوّاهم فيه اعتقاداً ما أظهره لهم من الألعاب التي حسبوها لبساطتهم كرامات، بل ظنها الكثير منهم معجزات وها أنا أتلو عليك من نبأ ذلك.

بينما هو ذات ليلة إذ طلب كافة من حضر من العربان وهم جمّ غفير وكان عنده صندوق الكهرباء المحرك للأعصاب عند المس، فأخرج من داره الحبل المتصل بالصندوق إلى المكان المحتشد فيه الجمع وأمر بعض أعوانه أن يغري بعض رؤساء القبائل على أن يمسك القبضة النحاسية التي في طرف الحبل المتصل بالصندوق الداخلي، فلما أمسكها اختلجت أعصابه فقبض عليه آخر ليخلصه، فسرى إليه التأثر الكهربائي كما هي العادة، فأخذ الحاضرون العجب وصاحوا (المدد يا إدريسي) أغثنا فعندها بطلت حركة الصندوق ثم أنه خرج من منزله ووقف مع الجمع برهة لأجل أن يتبركوا به ثم قال لهم: إن

ميعاد نزول الوحي عليه قد قرب وأمرهم بالجلوس لمشاهدة أنواره ودخل داره مظهراً إرادة الخلوة، وكان قد مدّ سلكاً في جوف الأرض، أحد طرفيه متصل بصندوق تيار كهربائي في منزله والطرف الآخر يتصل بأنبوبة على بعد ثلاثة آلاف متر تقريباً، فلما دخل داره ضغط على الزر الموجب لانبعاث الكهرباء إلى الأنبوبة فظهر لهم الضوء منها ثم اختفى وصار يكرر هذا العمل حتى رسخ في أذهانهم البسيطة وقلوبهم الساذجة أنه المهدي وأن هذا النور مرسل إليه من الله لكونه أبيض بخلاف ضوء الغاز الذي يعهدونه. إلى غير ذلك مما ماثلها وأضاف عليها مريدوه أن الإدريسي منع الذئب عن افتراس الغنم، وأن الزاني حين وقوع الزنا يلصق بالزانية، وأن سيف الإدريسي يقطع راس عدوه من مسافة أميال وأن رصاص الأعداء لا يؤثر في قومه وأعوانه، فانبثت تلك الخرافات وهذه الخزعبلات في أنحاء اليمن وتهامة، وليتها وقفت عند ذلك بل تجاوزت البحر الأحمر حتى وصلت إلى مصر مقرّ أعوانه الذين هم رأس كل مصيبة على الإسلام فزادوها انتشاراً وصاروا يتحدثون بها في كل ناد ظانين أنه بواسطة هذه الحركة يتم فتح إيطاليا لليمن.

ولمّا تمت له السيطرة على تهامة رتب من قِبله أربعة أمراء،

الأول (السيد محمد بن خرشان) جعل مركزه (وادي يبا) لجمع الزكاة، والثاني (ابن عرار) جعله على قائم مقامية (محال وبارق) والثالث (السيد مصطفى) جعله على (جبل عسير) والرابع (السيد الفصال) جعل مركزه (المخواه) إلا أن هذا الأخير طرد من تلك الجهة لأنها أقرب مركز إلى مكة المكرمة، وأهلها موالون لدولة أمير مكة، ولم تتمكن منهم الخرافات.

وعندما آنس الإدريسي في نفسه القوة شرع في محاربة الدولة وطردها من لواء عسير، وكلف عامله مصطفى بالتوجّه إلى جبل الحجاز بجنوده أهل تهامة وبضرب القبائل التي لا تطيع أمره، فابتدأت الجيوش تزحف فأطاعه بعض القبائل بلا حرب وحاربه البعض، فكانت له الغلبة عليهم وملكهم بالقوة، وبعد ذلك أصدر أمره للعامل المذكور بمحاصرة (أبها) عاصمة عسير، فابتدأها بالمحاصرة في شهر ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وما زال يعثو في اليمن حتى اتّسع خرق الفتنة وتشتت عساكر الدولة من جميع الجهات ولم يبق منها سوى المحاصرين بأبها ومعهم المتصرف (سليمان باشا) فشددوا عليهم الحصار ومنعوا عنهم المأكل والمشرب وجميع الأرزاق حتى أكلوا الهرر والكلاب ومات أكثر العساكر جوعاً واستمر الحصار مدة عشرة أشهر.

وعندما شعر دولة أمير مكة ببلوغ الإدريسي إلى هذا الحد من الإفساد وأن ذلك يجر اليد الأجنبية إلى الامتداد إلى لواء عسير أرسل له الرسل بالنصائح التي يفرضها الإسلام واطراح هذه القلاقل وأنه متعهد له بجميع ما يطلب فلم يزدد إلّا عتواً ونفوراً، ولما خاف دولة أمير مكة حفظه الله من استفحال الأمر ووخامة العاقبة خاطب الدولة العلية في أن تلفت أنظارها إلى هذا الثائر الباغي فرأت الدولة العلية حرسها الله أن تلقي فك هذا المشكل على كاهل دولته، لما عهدته فيه من الهمة التامة في توطيد دعائم الأمن والعزم الماضي في قمع ثورة الثائرين وقطع دابر المفسدين، فأصدر أمير المؤمنين أمره الشاهاني إلى دولته بالتوجّه لفك حصار (أبها) واستئصال شأفة (الإدريسي) ورجاله المفسدين فامتثل الأمر الشاهاني وجمع جيشاً مؤلفاً من الأشراف والعرب من قبائل عتيبة ومطير وابن الحارث والبقوم وسبيع وقبائل حرب وإنما خصّ هؤلاء القبائل بالتوجّه معه لأنهم فرسان مدربون وهؤلاء سوى الجيش المنظم الذي سار مع دولة الأمير وهو مؤلف من جند جندرمة وجند أتراك نظامية، ولملم حفظه الله حتى أناب عنه في تولي إدارة شؤون أمارة مكة سيادة نجله الأكبر صاحب العطوفة والسيادة (الشريف علي بيك) حفظه الله وقد سار

عطوفته في إدارة شؤون الإمارة سير دولة والده ولا عجب فهذا الشبل من ذاك الأسد، وقد اعتنى حفظه الله بالمحافظة على الأمن في جميع طرقات الحرمين الشريفين، خصوصاً الطريق التي بين مكة والمدينة، كما أن دولة والده قام بما كلّف به من جهة الدولة العلية أحسن قيام على ما سيأتيك بيانه.

تفصيل الرحلة الميمونة
لدولة الأمير حسين باشا أمير مكة المكرمة

لإطفاء هذه الفتنة وما آل إليه أمر الإدريسي وجنوده وذكر قبائل تهامة والحجاز وبلاد الحرمين تفصيلاً.

كان قيام دولة أمير مكة وجيشه المنصور من مكة المكرمة يوم الأحد السادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة الساعة التاسعة نهاراً، ولم يزل سائراً حتى وصل بلاد العُكَيْشِيَةِ في الساعة الأولى من ليلة الاثنين، وهذه البلاد هي بلاد أسرة المرحوم الشيخ «السُّبَحِي» من أهالي مكة، وبات الأمير والجيش بها ولم يقوموا منها إلا منتصف الساعة التاسعة من يوم الاثنين، ولم يزل سائراً بالجيش حتى وصل إلى محطة «البيضاء» في منتهى الساعة الثانية من صباح يوم الثلاثاء وهي المرحلة الأولى من

مكة من جهة اليمن، وبالبيضاء ديار الأشراف الحمودية من أشراف العبادلة وبها بئر ذات ماء عذب غزير وهي في الجهة الجنوبية لمكة، ثم نهض منها بجيشه منتصف الساعة الثانية من ليلة الأربعاء ثامن عشر ربيع المذكور وأصبح وهو بمحطة (السَّعْدِيّة) وهي المرحلة الثانية وبها ديار القبائل التي تسمى (الجحادلة) وبها بئر عذبة الماء وواد متّسع ذو مرعي، وفيها وفد هناك على دولة الأمير ثلاثة أشخاص من قبائل (غامدوزهران) بكتب من كافة مشايخ قبائلهم تتضمن تقديم الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين ولدولة أمير مكة وتوفي أحدهم ودفن بجوار المسجد الذي هو أحد المواقيت للحرم المكي من الجهة اليمانية. والمسجد مبني على قمة رابية ارتفاعها ثمانية أمتار. ثم أمر دولة الأمير بالرحيل فنهضنا الساعة التاسعة من يوم الأربعاء، ونزلنا منتهى الساعة الثالثة ليلاً، ثم بعد صلاة صبح يوم الخميس الساعة الحادية عشر سرنا حتى وصلنا (وادي الخضراء) في منتهى الساعة الأولى صباحاً وهو المرحلة الثالثة وبه قبائل (شعبة) التي هي فرع من قبائل (هُذَيْلٍ) وقِلنا به ووجدنا فيه تحت الأرض أبنية عتيقة يصل إليها الإنسان من باب معقود بالحجر وفي تلك الجهة شمالاً على بعد نحو ألف متر من تلك الأبنية

جبل على قمته تمثال شخص يشاع بتلك الجهة أنه تمثال المؤسس لتلك المباني وبهذا الوادي بئران ماؤهما عذب غزير. ثم رحلنا مع دولة الأمير من الخضراء الساعة التاسعة مساء اليوم المذكور وهجعنا ليلاً أثناء الطريق وبعد صلاة الصبح الساعة الحادية عشر صباح يوم الجمعة الحادي والعشرين من الشهر المذكور أمر دولة الأمير بالرحيل فسرنا حتى إذا كان منتهى الساعة الثالثة صباح هذا اليوم نزلنا بوادي الغالّةَ وهو لقبيلة تسمى (الزّنابِحَةَ) وبه بئر يقال لها الحدادية أنشأها الشيخ (أبو خُطْمَة) الذي هو أكبر تاجر في بندر (الليث) وأقمنا بهذا الوادي إلى يوم الاثنين الرابع والعشرين منه. وكان المكث في هذه المدة لانتظار قدوم القبائل القاطنة بتلك الجهة حتى تنضم إلى الجيش. ولما انقضى هذا المأرب أمر دولة سيدنا بالرحيل فنهضنا الساعة الثانية من مساء هذا اليوم وهجعنا في وادي (الخُرْقان) وهو المرحلة الرابعة من مكة وبه أراضي قبائل (رَحمن). وبعد صلاة فجر الثلاثاء الخامس والعشرين منه نهضنا ونزلنا منتهى الساعة الثالث من صباح اليوم المذكور على بئر يقال لها (الكَلاَبِيَّة) في الجهة الشرقية من بندر (الليث) وهو مركز لقائم مقامية تابعة لولاية مكة (وبالليث) قائم مقام من طرف الحكومة ومأمور من

أشراف مكة من طرف دولة أميرها لحفظ الأمن وجباته الأموال وفي هذا المكان هبّت علينا رياح شديدة أقلقت راحة الجيش فأمر دولة سيدنا بالرحيل الساعة التاسعة من مساء هذا اليوم، فنهض الجيش وسار ماراً بسوق بندر الليث وهي مرفأ على البحر الأحمر وفيها تجار من الحضارمة وأهل الوطن وحركة البيع والشراء فيها جيدة وأكثر واردات تلك الجهة الحبوب من دخن وذرة بيضاء والسمن والغنم ومنها تصدر إلى جدة ومكة وأبنية منازل بندر الليث باللبن وبه بعض أبنية بالحجر وبالبندر المذكور حدائق ونخيل لبعض التجار ولم نزل سائرين إلى منتصف الساعة الرابعة ليلاً ثم استرحنا وبعد صلاة فجر الأربعاء السادس والعشرين منه سرنا ونزلنا في منتهى الساعة الثالثة من صباح اليوم المذكور على ثلاثة آبار يقال لها (آبار بخيعة) في وادي الشاقة الشامية وهي المرحلة الخامسة من مكة. والوادي المذكور لأشراف ذوي حسن القاطنين به وهو كثير الخيرات يزرع فيه الدخن والذرة بكثرة وأرضه جيدة وهو واد واسع الجوانب يسيل ماؤه على وجه الأرض يحف به من اليمين والشمال أشجار الأراك والأثل والطرفاء والحمض يخيل للقادم عليه أنه قادم على غابة عظيمة ممتدة مستطيلة من أعلى الوادي إلى أسفله وماء هذا الوادي يأتي من جبل كبير

الحجم شامخ الارتفاع اسمه (عَفَفْ) وهو ملك لقبائل بني هلال وقال الجيش بالوادي المذكور فهبّت عواصف كادت تدفنه فيه بما تحمله من الرمال والأتربة لولا لطف الله تعالى ثم أمر دولة سيدنا حرسه الله بالرحيل فنهضنا من تلك الجهة في منتصف الساعة التاسعة مساء يوم الأربعاء المذكور وهجعنا بين الشاقة الشامية والشاقة اليمانية وهي تابعة لأشراف ذوي حسن أيضاً وبعد صلاة الفجر الساعة الحادية عشر سرنا إلى أن نزلنا منتهى الساعة الثانية من صباح الخميس السابع والعشرين منه في وادي الشاقة اليمانية التي هي لذوي حسن وهي المرحلة السادسة من مكة وقِلنا بالوادي المذكور في مكان اسمه (عَلْيَبْ) وهذا الوادي كثير المياه ماؤه يتدفق على وجه الأرض ويأتيه من جبل (نَخْرة) لقبائل بني سليم وهو في الجهة الشرقية من الوادي ومزروعات الوادي كثيرة وخيراته عظيمة وأشجاره كثيرة يشابه في منظره الشاقة الشامية وعندما استقرّ دولة الأمير بجيشه المظفر في هذا الوادي أقبل عليه جميع أشراف ذوي (حسن) ومعهم رؤساءهم وهم الشريف (أحمد بن عبد العزيز) رئيس آل عسَّاف والشريف (عايض أبو خَمَج) والشريف (محمد أبو عصبة) وهما شيخا (النَّعرة) والشريف (رميثه) شيخ آل هاشم والشريف (مهدي) شيخ آل

عبدة والشريف (أحمد أبو راسين) شيخ آل سَنبُوكْ والشريف (محمد) شيخ المرايسة والشريف (أحمد أبو خزعة) شيخ آل أبي سن والشريف (أحمد أبو حار) شيخ آل رميثة وآل مهدي والشريف (حسين بن يحيى) فلما تكامل جمعهم طلبوا جميعاً العفو عنهم من دولة الأمير بسبب أتباعهم للإدريسي ودخولهم في طاعته وعصيانهم الدولة العلية وأظهروا لدولته أنهم كانوا مخدوعين منه، فلما رأى الأمير صدقهم عفا عنهم جميعاً وأنعم عليهم بالكساوى فلما رأوا ذلك منه دبّت في رؤوسهم النخوة الهاشمية وجهزوا جيشاً من عندهم عدده أربعمائة مقاتل بأسلحتهم وأمتعتهم لينضم إلى جيش دولة الأمير. وأشراف ذوي حسن المذكورون يربو عددهم عن خمسة آلاف مقاتل مستكملين جميع ما يلزم للقتال وأمر دولة الأمير بالإقامة يومين في هذا المكان فمكثنا فيه بقية يوم الخميس ويوم الجمعة الثامن والعشرين منه وكان هذا اليوم هو يوم عيد الجلوس السلطاني فأمر دولة سيدنا حفظه الله بإقامة معالم الأفراح وجمع الجيش وهو مؤلف من أشراف وعربان وجند يسمون (الجندرمه) وهم من قبائل (بيشة وعقيل) ومركز بيشة مكة المكرمة ومركز عقيل المدينة المنورة وعقيل هم المحافظون على الطرق الحديدية الحجازية وبعد تأدية الدعاء

لمولانا السلطان بالنصر والبقاء أمر حفظه الله بإطلاق المدافع وبالشروع في الألعاب الرياضية كالمسابقة على الخيل والهجان وكان رؤساء المتسابقين على الصافنات الجياد نجلي دولة أمير مكة حرسهما الله وهما (عبد الله بك وفيصل بك) وتمّ هذا الاحتفال على أحسن ما يكون من السرور والنظام بهمة وعناية دولة مولانا الأمير. ثم أمر دولته حفظه الله بالرحيل في الساعة الحادية عشر صباح يوم السبت التاسع والعشرين منه فرحلنا ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى واد متّسع جداً لذوي حسن أيضاً وهو كثير الأشجار ومعظمها من الأراك وقِلنا تحت تلك الأشجار. وفي الجهة الشرقية من هذا الوادي جبل اسمه (شذى) مشهور بشجر البن الذي لا يوجد مثله في الجودة بالأراضي اليمانية ويوجد بهذا الجبل أيضاً أشجار الفواكه بكثرة ومياهه غزيرة وهو من أحسن الجبال في الخصب والزراعة وتابع لقبائل زهران. ثم أمر دولة سيدنا بالرحيل في منتصف الساعة العاشرة مساء يوم السبت المذكور فرحلنا ونزلنا عند غروب الشمس من هذا اليوم وبعد صلاة المغرب أمر دولة سيدنا بالمبيت في المكان الذي نحن فيه وبعد صلاة فجر يوم الأحد غرة جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف سرنا حتى وصلنا أعلى وادي (دوقة)

الساعة الثالثة صباحاً ونزلنا في محل يقال له (المشيّةُ) من الجهة الشرقية من (دوقة) وهو سابع مرحلة من مكة وبين هذا المكان وبين مرفأ دوقة سير ساعتين على الهجين وهو واد خصب التربة يزرع فيه الذرة والدخن والسمسم والقطن الهندي وجميع محصولاته ترسل إلى مدينة دوقة ومنها ترسل إلى مرافئ الحرمين الشريفين بواسطة سفن شراعية وبعد أن استرحنا في هذا الوادي حضر بين يدي دولة سيدنا أمير مكة (الشيخ محمد بن مرزوق) شيخ مشايخ قبائل زبيد التابعين لقائم مقامية (القنفدة) التابعة للواء عسير وهذه القبائل فرع من قبائل (حرب) القاطنين بين مكة والمدينة خاضعاً نادماً على موالاة الإدريسي حتى أنه قال للأمير لولا إسراع دولتكم بالتوجّه إلى ديارنا لفسدت أخلاقنا ولم نرتجع عمّا كنا عليه من الغي والفساد بسبب هذا الطاغية (الإدريسي) وها نحن قد ظهر لنا الرشد من الغي وقد أتيناكم خاضعين راجين الصفح عمّا فرط منا في حق الدولة فلما ظهر لدولة الأمير صدق هذا الشيخ في مقاله عفا عنه وعمّن معه وأمرهم بجمع الزكاة وإرسالها لقائم مقام القنفدة فامتثل الشيخ ومن معه من الرؤساء ذلك. وفي منتصف الساعة الثامنة مساء يوم الاثنين ثاني جمادى الأولى أمر سيدنا بالرحيل فنهض الجيش وسار وفي

أثناء الطريق مررنا بواد يقال له (القَرْماء) وهو لقبائل (زبيد) المار ذكرهم وهو واد خصب التربة كثير الأشجار مياهه تسيل على وجه الأرض ومزروعاته الذرة والدخن والسمسم ويزرع فيه القطن بكثرة ومررنا أيضاً بواد يقال له: (ناوان) وهو تابع لقبائل زبيد أيضاً يشبه وادي (القرماء) الذي قبله في الخصب والزراعة وبعد أن قطعنا هذا الوادي سرنا متيامنين حتى وصلنا إلى ديار قبيلة تسمى (العَجالين) وشيخهم يحيى بن الدّعيِّس فأمر سيدنا بنزولنا وبتنا في هذا المكان، وبعد صلاة صبح يوم الثلاثاء الثالث منه سرنا حتى نزلنا بواد يقال له (الأحْسَبه) في الساعة الرابعة صباح اليوم المذكور وهذا الوادي هو ثامن مرحلة من مكة وملك الأشراف (العَبَادِلةِ) وقبيلة (الْعَجالينْ) وعندما استقرّ الجيش أقبلت وفود الأشراف (العبادلة) وهم يزيدون عن ثلاثمائة شخص مسلحين بالأسلحة النارية الحديثة ومعهم عبيدهم والجميع فرحون بقدوم دولة الأمير إلى ديارهم فلما وصلوا إلى المكان الذي ينزل فيه دولته اجتمعوا وصاروا يترنمون بأناشيدهم الحسنة ويطلقون النار من أسلحتهم كما هي عادة العرب فقابلهم دولة الأمير أحسن مقابلة وأمر بنزولهم في خيام أعدت لهم في الحال وأولم لهم وليمة عظيمة وأنعم عليهم بالكساوي كما أنعم على مشايخ ذوي حسن

الأشراف القاطنين بوادي الشاقة الشامية والشاقة اليمانية المارّ ذكرهم وكما أنعم على (الشيخ محمد بن مرزوق) شيخ مشايخ قبائل زبيد. ثم حضر أيضاً بعض قبائل زبيد الذين هم تحت رئاسة الشيخ أحمد وتقدم لمقابلة سيدنا بعض أشخاص منهم خاضعين مقدمين الطاعة لجلالة أمير المؤمنين ولدولة الأمير.

وقابل سيدنا أيضاً أشراف المناديل المهاجرين من وطنهم الذي هو وادي (قوز أبو العير) إلى وادي (الاحسبه) والذي اضطرهم إلى مهاجرة أوطانهم من شدة الظلم الذي وقع عليهم من (السيد بن خرشان) عامل الإدريسي ومأموره على تهامة عسير والعامل المذكور مقيم بقرية تسمى (مَخْشوش) في وادي (يبا) ولما استقرّ الشريف (الحسين بن أحمد) شيخ أشراف المنادل بين يدي سيدنا بث شكواه للأمير من معاملة الإدريسي الرديئة وإيذائه للخلق خصوصاً الأشراف حتى أنه من شدة ظلمه قطع يدي الشريف أحمد القاطن بجوار الإدريسي (بصبيا) فبئس الجوار والسبب في ذلك أن الشريف (أحمد) المذكور كان بينه وبين رجل اسمه (يحيى) من أغنياء (صبيا) وتجارها ضغائن شخصية وكان الإدريسي مساعداً للشيخ (يحيى) الذي هو ضد الشريف (أحمد) لأن هذا الرجل كان يبذل الأموال للإدريسي ويساعده في بث أغراضه الشيطانية

التي يبثها في القبائل اليمانية حتى يخرجوا على الدولة العلية ويكونوا من أتباع الإدريسي وقد حصل مراده فلذلك قطع يدي الشريف المذكور إرضاء لصاحبه يحيى فلما سمع دولة الأمير شكواهم وعدهم برفع المظالم عنهم وعن كافة قبائل اليمن بعون الله حتى ترجع الأمور إلى ما كانت عليه ويقيم كل إنسان ببلده آمناً إن شاء الله ففرحوا بذلك واستبشروا بالسرور وانضموا لجيش الأمير لمقاتلة الأعداء، وكان كلما مرّ الأمير بواد انضم إليه عربان من نفس الوادي الذي يمرّ فيه ثم أمر دولة سيدنا بالرحيل في الساعة الثامنة مساء الثلاثاء المذكور فنهض الجيش بأجمعه وسرنا إلى الساعة الثانية عشر ثم نزلنا في الطريق وبتنا وبعد صلاة الصبح أمر حفظه الله بالرحيل فارتحل الجيش في الساعة الحادية عشر ونزل الساعة الثالثة صباح يوم الأربعاء الرابع منه في واد يقال له (قنونا) بمحل يسمى (أم الجرم) في الجهة الشرقية من مرفأ (القنفدة) وهذا المكان هو تاسع مرحلة من مكة ويبعد عن القنفدة بسير ساعة للراجل ووادي (قنونا) واد عظيم وبه جداول ماء تسيل على وجه الأرض وعيون عذبة الماء للشرب وهو لقبائل بني زيد ويزرع به الدخن والذرة بكثرة ومن كثرة الحبوب به تباع بثمن زهيد جداً فكل خمسة عشر مداً من الحب تساوي من الثمن

بمعاملاتهم (ريالاً بطيرة) وقيمته عشرة قروش مصرية والمدّ اليمني يبلغ وزنه ثلاث أقق على الأقل، فيصير كل خمس وأربعين أقة من الحب بعشرة قروش مصرية والمحل المسمى (بأم الجرم) ملك الأشراف (ذوي زيد) القاطنين بمكة والمتولى أعمالها وزراعتها عبيد لهم ومواليد عتقاهم. وأما بندر النقفدة فهو واقع على البحر الأحمر وهو مرفأ عظيم حتى أن البواخر البحرية تسير فيه إلى قريب الشاطئ وهذه المدينة ثلثها مبني بالأحجار والثلثان الباقيان أكواخ مصنوعة من جريد النخيل وخشب أشجار السمر والطرفاء ولهم فيها صناعة جميلة واعتناء تام حتى أنها تمكث ثلاثين سنة تقريباً وأغلب البيوت المبنية بالأحجار طبقة واحدة عدا محلات الحكومة والأغنياء من التجار فبيوتهم طبقتان وبها محجر صحي وثكنة للجند العثمانيين وجمرك وجميعها مبنية بالحجر بناء جميلاً وفي خارج البلد قلعة للحكومة العثمانية ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وبهذه المدينة سوق عظيم يوجد فيه جميع ما يحتاجه الإنسان من ملبس ومأكل وخلافه وتردها أنواع الخضر والليمون والموز والقطن والسمسم والعدس وما شاكلها من أوديتها أما الفواكه فترد لها من جهة بين تهامة والحجاز تسمى (المخواه) وبها ثلاث حوانيت عظيمة لمبيع أصناف البقالة

أحدها لشخص رومي والدجاج فيها بكثرة وهو رخيص فثمن الواحدة قرشان مصريان وبها مسجدان عظيمان للصلاة. ومن عوائد أهلها أن رجالها يلبسون الأحذية نهاراً والقباقيب ليلاً أمَّا النساء فلا يلبسن في أرجلهن شيئاً أصلاً بل هنّ حفات على الدوام ومن عوائد أهلها أيضاً أن الرجل لا يخرج من منزله صباحاً لقضاء أشغاله إلّا بعد تناول طعام الإفطار وبعد خروجه تخرج زوجته مستترة بملابسها بحيث لا يبدو منها سوى قدميها الحافيتين ومعها ثلاثة جبنات قهوة والجبنة في عرفهم وعاء للقهوة من الفخار ثم تذهب إلى بيوت صواحباتها فإذا دخلت عند إحداهن سكبت لها صاحبة المنزل فنجاناً من قهوتها التي معها وبعد أن تشربه تخرج من بيت إلى آخر وهلم جرا حتى تخلص قهوتها ثم ترجع إلى منزلها ولهن محافظة تامة على هذه العادة. وأهالي تلك الجهة سذج بسطاء جداً لسذاجتهم التامة تمكن منهم الإدريسي تمكّناً تاماً حتى أنهم يعتقدون فيه أن الوحي ينزل عليه من السماء وأن كل من خالفه ولم يسر على طريقته فهو كافر دمه مباح وسأذكر لك مثالاً من سذاجتهم بينما نحن جلوس بالقرب من مكان دولة الأمير في يوم من الأيام ونحن مقيمون في أم لجرم إذ حضر اثنان من شيوخ قبائل تلك الجهة ولم يزالا سائرين حتى قربا من المكان

الذي ينزل فيه دولة الأمير فقابلهم رئيس حجاب الأمير وسألهما عن مرادهما فأجاباه أننا نريد مقابلة (عبد الله بك) نجل دولة الأمير فظننا أنهما إنما حضرا لأمر مهم جداً فلما حضر نجل دولة الأمير سألهما ماذا تريدان فقالا له خذ هذه القربة وأملاها لنا ماء فعجب من أمرهما غاية العجب وأمر بإعطائهما مرادهما ثم انصرفا وفي يوم الخميس الخامس منه حضر (الشيخ حسن) شيخ مشايخ كافة قبائل بني زيد البالغ عددهم مائة وخمسة وعشرين ألف مقاتل تقريباً وطلب مقابلة دولة الأمير فلما قابله قدم له الطاعة وأظهر الندم على ما بدا منه من متابعة الإدريسي وطلب الأمان له ولبعض قبائله الطائعين لأمره وترك المنتمين للإدريسي حتى يحل لهم ما يستحقون بسبب خروجهم على أمير المؤمنين وعدم رجوعهم عن غيهم فأمنه دولة الأمير هو ومن طلب له الأمان ثم أن هذا الشيخ اجتمع مع شيوخ الأشراف (ذوي حسن) السابق ذكرهم وطلبوا من دولة الأمير الإذن لهم بالتوجّه إلى وادي (حلى ويبا وقوز أبو العير) لنصيحة السيد ابن خرشان عامل الإدريسي وأعوانه مشايخ الجهات الموجودين معه وإلزامهم بتقديم الطاعة للدولة العلية ولأمير مكة وبالامتثال لأداء ما عليهم من الزكاة المفروضة شرعاً للدولة العلية لتحقن دماء المسلمين

فأذن لهم دولة الأمير بالتوجّه إلى ابن خرشان ومن معه كما طلبوا فتوجهوا في الحال والمسافة بين المكان الذي فيه الجيش وبين القرية التي يقيم فيها ابن خرشان عشرون كيلومتراً تقريباً فلما وصلوا هناك قصدوا منزل الشيخ علي بن مديني شيخ قبائل قوز أبي العير وكلفوه بأحضار باقي مشايخ وادي يبا فأرسل لهم فحضروا وهم الشيخ البيطلي رئيس قبائل المرازيق والشيخ ابن خيره من شيوخ قبائل قوز أبو العير والقبائل المذكورة تسمى بني يعلى وشيخ قبيلة النواشره ولما كمل جمع مشايخ قبائل وادي يبا وقوز أبو العير نصحهم الوفد وأمرهم بعدم الخروج على دولة أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين «السلطان محمد رشاد» وبالطاعة لنائبه صاحب الدولة والسيادة سيدنا «الشريف حسين باشا» أمير مكة المعظمة فلم يجيبوا الوفد إلا برفض أقواله وإظهار استعدادهم التام للحرب وذلك لاعتقادهم أن كل من خالف الإدريسي فهو كافر يجب قتله شرعاً كما أخبرهم هو بذلك بطريق الوحي من الله وأخبرهم بأن أسلحة غيرهم لا تؤثر فيهم مطلقاً لأنهم على الحق ومن عداهم فهو على الباطل وأخبرهم أيضاً بطريق الوحي أن كل جيش يقدم لمحاربتهم يكون غنيمة لهم فلذلك لم يقبلوا نصيحة الوفد بل أصروا على غيهم فلما يئس القوم

منهم رجعوا آسفين لعدم قدرتهم على إرجاع هؤلاء السذج عن غيهم:

لا ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فلما رجعوا لدولة الأمير وأخبروه بذلك أمرهم بالرجوع إليهم ثانياً ليظهروا لهم غرورهم فلما رجعوا لهم وقابلوهم أصروا على عنادهم ولم يزدادوا إلّا عتواً ونفوراً ومكث دولة الأمير مع جيشه المظفر في هذه الجهة شهراً رجاء حصول الصلح وجمع الكلمة بين القبائل بدون إراقة دم وفعل كافة الطرق الموصلة لذلك، فلم يفد شيئاً ولما يئس دولة الأمير منهم وعلم اصرارهم على الحرب ومعاداة الدولة أمر حفظه الله بإرسال سرية لهم لتغزوهم فسارت في ليلة الاثنين التاسع من جمادى الأولى فسارت السرية وأصبحت في ديارهم وغنمت منهم تسعة عشر رأساً من البقر وسبعين من الغنم وجملين وأسرت اثنين من قبيلة بني شهر ورجعت فلما حضر الأسيران أمام دولة الأمير أمر بإطلاقهما بعد أن كساهما لسبب أن هذه القبيلة موالية للدولة. وفي ليلة الثلاثاء العاشر منه ذهبت سرية أخرى قدرها ثلاثمائة فارس من الأشراف والعرب وألف من أرباب الهجان وأرسلت أمامها العيون الذين تعهدوا لدولة أمير مكة بضبط ابن خرشان فلما وصلت

السرية قرية ابن خرشان أغارت عليهم صباحاً ففر هارباً قاصداً (صبياً) مقرّ الإدريسي واستمرّ القتال ثلاث ساعات ثم انهزم الأعداء عن ثلاث وعشرين قتيلاً وسبعة أسارى من قبيلة النواشرة ومن قبيلة بني زيد الذين لم يطلبوا الأمان مع شيخهم حسن بن خضر بل اتبعوا الإدريسي. أمّا الغنائم فكان خمسة آلاف رأس بين ضأن ومعز وخمسمائة من الإبل ومثلها من البقر ومائتين من الحمير وست وثلاثين من الرقيق بين ذكر وأنثى ولما حضر الأرقاء بين يدي دولة الأمير ادعوا الحرية وحصل النزاع بينهم وبين الغانمين لهم فأمر الأمير حفظه الله بإحضار القاضي الموجود معه وهو الشيخ عبد الله كمال النائب الشرعي بالطائف وهو من العلماء الأفاضل فلما حضر وسمع دعواهم وشهادة شهودهم حكم بحرية بعضهم فأمر دولة الأمير بإطلاق من ثبتت حريته ومن لم يثبت حريته منهم بقي غنيمة. أما القرية التي حصل فيها القتال فإنها جردت من كل موجود بها. وفي اليوم الثاني أتى باقي قبائل بني زيد الموالون للإدريسي وأظهروا الندم على ما حصل من شق عصا الطاعة وطلبوا الأمان فأمنهم وأطلق المسجونين منهم. وفي يوم الخميس ثاني عشر جمادي الأولى حضر الشيخ راشد بن رقوش شيخ كافة قبائل زهران الذي يزيد عددهم عن مائة

وخمسون ألف مقاتل وقابل دولة الأمير وأظهر الطاعة والموالاة له ولأمير المؤمنين وقال إننا سنكون من الآن من أخلص العرب للدولة العلية ومن أشد المحافظين على طاعة أمير المؤمنين ودولة الأمير وأننا مستعدون لأداء الزكاة الشرعية تامة فقبل الأمير قولهم وأعدّ له محلاً لنزوله وآخر لخدمه وقدمت لهم الضيافة وأنعم الأمير عليه بالكساوى الفاخرة وهذا الشيخ من ضمن الذين تقابلوا مع الإدريسي بصبيا وبايعوه هناك ومقرّ هذا الشيخ جبل الحجاز الكائن بين (أبها) عاصمة عسير وبين الطائف وهو إلى الطائف أقرب والقرية المقيم بها هذا الشيخ تبعد عن بندر القنفدة وهو المكان الذي نحن فيه ثمانية مراحل. ومما أخبرنا به الشيخ أنه وجد بمحل إضافة الإدريسي حين كان هناك وفد من قبائل (نجران ويام) وديارهم تبعد عن صبيا المقيم بها الإدريسي أربعين مرحلة وهي واقعة في الجهة الشرقية من صنعاء عاصمة ولاية اليمن كائنة بين الأحقاف ونجد ولم يحضر هذا الوفد لصبيا إلا لمشاهدة مهدي آخر الزمان كما هو مشهور بأرضهم فلما عاينوا الإدريسي وقارنوا أوصافه على الحديث الشريف ظهر لهم الفرق وتحقق عندهم أنه ليس بالمهدي المنتظر ولما قابلهم الإدريسي بعد الضيافة سألهم عن أحوالهم وما شاهدوه

فيه فعرّفوه بأنهم تحققوا تحققاً تاماً أنه ليس المهدي المنتظر باختلاف الأوصاف والأسماء ولأشياء أخر ذكروها له فقال لهم إني أريد أن تكونوا مع قومكم من أتباعي فقالوا له إن كنت على الطريق المستقيم كما تدعي فلا حاجة لك بنا وإن كنت على خلافه وهو الغالب فلا حاجة لنا بك ثم تركوه وتوجهوا إلى ديارهم ولم ينل منهم أرباً . وفي ليلة الأربعاء الثامن عشر منه أمر دولة الأمير بإرسال سرية ثالثة لتغروا قبائل أهل وادي (يبا وقوز أبو العير وحلى) وتكون مؤلفة من ألف من الأشراف والعرب أرباب الهجان ومن ثلاثمائة فارس من العرب أيضاً وثلاثة طوابير من الجند النظامية وجميعهم تحت قيادة أصحاب السيادة عبد الله بك وفيصل بك نجلي دولته فتوجهت الحملة في الساعة الحادية عشر من اليوم المذكور قاصدة وادي يبا لإخضاع القبائل الموجودة تحت قيادة (ابن خرشان) عامل الإدريسي وعندما أقبلوا على واد يقال له (عجلان) ويبعد عن وادي يبا من جهة الشمال بساعة تقابل الجيشان وابتدأ القتال بينهما صباح يوم الخميس التاسع عشر منه واستمرّ أربع ساعات وانتهت الواقعة ولم يقتل من قومنا ولله الحمد سوي نفر من عساكر (بيشه) الجندرمه ونفر من عساكر (عقيل) الجندرمه وهو ولد إبراهيم ناصر من أهل المدينة

وشخص من قبائل (لحيان) ومن العساكر الأتراك خمس وعشرون منهم عشرة قتلوا أثناء القتال وخمسة عشر ماتوا ظمأ لأن المياه كانت محملة على ظهور البغال وقد نفرت أثناء الحرب فألقت أوعية الماء التي على ظهورها ولم يبق منه شيء وكان اليوم شديد الحرارة. وممن قتل في هذا اليوم عباس أفندي القباني أحد ضباط الجيش العثماني أما الجرحى من جيشنا فهم واحد من قبيلة (المجانين) وآخر من قبائل الروقة التي هي من قبائل (عتيبة) وواحد من أتباع (الأمير سعود) ابن عم الأمير عبد العزيز أمير نجد الحالي وكان الأمير سعود المذكور قد حضر مكة مع إخوانه الملقبين بالعرائف وأتباعهم البالغ عددهم ثمانون شخصاً قد قدموا مكة فارين من ابن عمهم الأمير عبد العزيز بن سعود لظلمه لهم.

وتوعدهم بالقتل فالتجأوا لدولة أمير مكة واحتموا بحمايته فأمرهم بالإقامة عنده حتى ينصفهم من ابن عمهم المذكور ولما أراد الخروج لقتال الإدريسي خرجوا معه. وقتل من الدواب أربع من الهجين وأربع من الخيل. أما القتلى من قوم الإدريسي فخمس وستون والجرحى خمسون. وفي يوم الاثنين الثلاثين منه أمر دولة أمير مكة عموم الجيش من أشراف وعرب وعساكر نظامية بالقيام لمحاربة (ابن خرشان) ومن معه

فسار الجيش تحت قيادة نجليه الكريمين وسار بمعيتهما الشريف (زيد بن فواز) أمير الطائف و(جميل بك) نجل عطوفة (ناصر بك) شقيق أمير مكة وأحد أعضاء مجلس الأعيان وكافة الأشراف وفيهم أشراف المدينة المنورة برئاسة الشريف (شحات بن علي بن راضي) وكان عدد الجيش الذي سار للقتال خمسة آلاف ومائتين منهم ألفان وخمسمائة من العرب والباقي من العساكر النظامية وكان معهم ثمان مدافع جبلية ومدفعان مترليوز ونزلنا ليلة الثلاثاء غرة جماد الآخرة على بئر يقال لها (أم الدُّبّا) وقِلنا هناك وفي آخر اليوم المذكور أمر أنجال الأمير الجيش بالسير إلى (وادي يبا) وأرسلوا أمامهم (العيون) ليهتدوا إلى مكان العدو فساروا ثم عادوا وأخبروا الجيش أن العدو كامن في (وادي عجلان) وهم منتشرون من الجبل إلى البحر أي من أعلى الوادي المذكور إلى أسفله وعددهم عشرة آلاف مقاتل وقد حصّنوا أنفسهم تحصيناً تاماً بين أشجار الأثل والمرخ والسّمُر وأقاموا جسوراً من الأتربة لتكون حصناً لهم عند القتال فرتب الأميران الجيش ترتيباً تاماً وسرنا حتى قربنا منهم فأمر الأميران أرباب المدافع بإطلاقها عليهم ولم تزل تقذف عليهم نارها بنارها حتى أخرجتهم من مكامنهم وولوا متيامنين قاصدين (وادي يبا) فصاح القائدان

الخيل الخيل يا أهل الخيل فاقتفى أثرهم الفرسان وأرباب الهجان واستمر القتال بينهم فصاروا تارة ينهزمون وطوراً يفرّون ويقاتلون حتى سرنا منتصف الساعة الخامسة ليلاً فانهزم قوم الإدريسي قاصدين (يبا) ومعهم قائدهم (ابن خرشان) وملكنا وادي عجلان وأقمنا بقية ليلتنا هناك ولم يصب منا أحد بأذى وقد قتل منهم سبعة وبعد صلاة الصبح أمر قوادنا بالزحف على (يبا) وقوز أبو العير والمسافة بين وادي عجلان ووادي (يبا) ساعة واحدة فزحف الجيش على وادي يبا وكان يوم الادريسي كامنين فيه ومعهم قوادهم وهم بن مديني والبيطلي وابن خيره وهؤلاء هم شيوخ وادي يبا وقوز أبو العير وكان معهم أيضاً قبائل وادي حلى الذين حضروا لنصرة قوم الإدريسي ومعهم مشايخهم وهم أحمد الصُمّي وابن الصغير وابن عجي حتى بلغ عدد المقاتلين من الأعداء اثني عشر ألف مقاتل وجميعهم كامنون لنا وسط الوادي وقد صنعوا لهم حصناً عظيماً وسط غابات الأثل والأراك والطرفاء والأشجار في هذا الوادي متلاحمة حتى يخل للرائي أنها شجرة واحدة فلما قربنا منهم أمر قوادنا وهم عبد الله بك وفيصل بك بترتيب الجيش للقتال ورتب نظيف بك قومندان العساكر النظامية جنده وبعد الترتيب صدر الأمر بزحف عموم الجيش على

العدو فزحفنا عليهم في منتصف الساعة الثانية صباح يوم الأربعاء الثاني منه وأخذت الجنود النظامية تصوب مقذوفات مدافعها إلى مكامن العدو في الغابات وهجم عموم الجيش عليهم من عرب وترك وفي المقدمة نجلا الشريف واستمر القتال إلى الساعة الثامنة، ثم صدر الأمر من عموم القواد بالهجوم فهجم في المقدمة أربعمائة فارس واقتفى أثرهم عموم الجيش وصار القتال بالسلاح الأبيض وما وافت الساعة العاشرة حتى انهزم العدو وانكسروا شر كسرة ووجهتهم (وادي حَلِي) الذي هو في الجهة اليمانية من وادي يبا وبينهما خمسة عشر كيلومتراً وتركوا في الميدان ستمائة قتيل منهم من قبيلة بني يعلى مائة ومن أهل صبيا والشقيق الذين أرسلهم الإدريسي مدداً لأهالي يبا مائة وعشرون وكانوا أربعمائة ومن قبائل وادي حلى مائة وخمسون ومن قبيلة النواشرة أربعون والباقي من قبائل متفرقة وامتلكنا الوادي من أعلاه إلى أسفله ونزل الجيش في قرية المرازيق وبتنا ليلة الخميس بوادي يبا مكللين بالنصر ومعنا سبعون أسير وفي صباح يوم الخميس ذهب الجيش ليفتش أكواخ الأعداء فوجدنا فيها صناديق كثيرة من أنواع الرصاص ووجدنا أشكالاً متنوعة ووجدنا ما ينوف عن خمسمائة بندقية من نوع المارتين الفرنساوي والإنكليزي

والطلياني وهي من الأسلحة التي وردت لهم من الإدريسي وترد له من الدول التي ترغب اضمحلال الدولة العلية ولبساطة أهل اليمن يعتقدون أن هذا السلاح والرصاص والجنيه الإنكليزي يخرجه لهم الإدريسي من تحت السجادة فبئست العقيدة. أما الغنائم التي غنمناها في هذه المعركة فهي تزيد عن خمسة عشر ألف أردب من الحبوب وكانت دواب الجيش جميعها تأكل منها أما الإثاث كحلى النساء والسلاح الأبيض من سيوف وجنابي وخناجر وما شاكلها فكثيرة جداً مع أن الإدريسي كان أخبرهم بمقتضى أخبار الوحى له أننا سنكون غنيمة لهم فانعكست القضية عليهم ومن مآثر دولة الأمير أن ذهب أحد أهالي تلك الجهة إلى دولته في أم الجرم وطلب منه الصفح عنه ورد أمواله إليه لأنه ذو عائلة واعترف بخطئه وتاب إلى الله فأمر دولته حفظه الله برد أمواله إليه ولاشتغاله بأخبار الجيش المحارب لم يأمر بتنفيذ إرادته في يومها فحضر له الرجل ثانياً ومعه قصيدة مختصرة وهذا الرجل أمي وأعطاها لدولة الأمير، فلما قرأها دولته سر وأمر في الحال برد جميع الذي له فجمع من القوم البعض من أمواله وأعطاه دولته من النقود ما أرضاه فتوجّه وهو يدعو لدولة الأمير بالنصر وها هي القصيدة بذاتها لم أغير منها شيئاً:

يا سيدي بشرتني بالعقيلة | من بعد ما جيتك من القوم مسلوب
وأنت حليم عليم في كل حيلة | فيما شكيته ما أنت يا سيد مغلوب
وكيل السلطان والله وكيله | وأمرك يربّع كل ما راح مكسوب
الأمر لله ثم لك في القبيلة | عتبان غير أشراف مع ترك وحروب
تغشاك مني البيض ما هي قليلة | أعداد ما هو في الأسواق مجلوب
وحيات من ينشي المطر في المخيلة | ياما يجينا أنه من الرب مكتوب

قاله أحمد بن حامد الرصيفي.

وفي ليلة الجمعة الرابع منها سرنا من أسفل واد يبا إلى أعلاه، وذلك من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية ونزلنا في قوز أبو العير وهو مرتفع عن مسطح وادي يبا بخمسة عشر متراً تقريباً وأرضه رملية لائقة للإقامة فيه بخلاف نفس الوادي، فإن أرضه من الطينة الصفراء التي تصلح للزراعة، وفي القوز ثلاثة آبار مبنية بالحجر ماؤها عذب غزير وهواؤه جيد، فلما استقرّ بنا المقام أرسل لنا دولة الأمير رسولاً من طرفه يمنع الجيش عموماً من الاعتداء على ما لقي من الأكواخ والقرى وما فيها وذلك رحمة وشفقة منه على أهل اليمن، فمن ضمن هذه القرى قريتان إحداهما للأشراف المناديل والثانية من أشراف الرواجحة الذين اضطهدهم ابن خرشان نائب الإدريسي وألجأهم إلى المهاجرة عن أوطانهم والإقامة في وادي

الأحسبة عند الأشراف العبادلة وهم منضمون إلى جيشنا لمحاربة الأعداء، كما سبق، وهؤلاء الأشراف جميعهم من أشراف مكة هاجروا من زمن مديد إلى اليمن لطلب الرزق فصار لهم في وادي يبا وقوز أبو العير مراكز عالية وصارت لهم سلطة تامة على قبائل أهل وادي يبا من طرف الدولة العثمانية، فلما اتسعت سلطة الإدريسي واحتل بيا ضايقهم ابن خرشان نائبه حتى تركوا أوطانهم وهاجروا إلى وادي الأحسبة عند الأشراف العبادلة وجميعهم يتصل نسبهم بجدنا الأمير الجليل الشريف (قتادة) الذي كان ملكاً بمكة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة من الهجرة وأكبر أولاد الشريف قتادة هو الشريف راجح جد هؤلاء الأشراف الرواجحة. أما دولة المرحوم الشريف قتادة فهو ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحضَ بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. ونسب أشراف المغرب الأقصى يتصل بإدريس بن مطاعن المذكور سابقاً ونسبة الأشراف المناديل لجدهم منديل بن الشريف أحمد بن الشريف أبي نمى الذي تولى إمارة مكة سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة من الهجرة،

وصدر له الأمر الشاهاني بالإمارة من السلطان سليمان والشريف أبو نمى المذكور هو الذي حفظ الإمارة لأولاده طبقة بعد طبقة حتى لا تخرج من بيته، وذلك بمقتضى معاهدة صدرت في ذلك التاريخ وأيدها السلطان سليم الفاتح لمصر، ومن ذلك التاريخ صارت تصدر الأوامر الشاهنية بالإمارة الجليلة لكل من يتولى أمارة الحرمين الشريفين إلى أن استلمها دولة الأمير العظيم سيدنا الشريف حسين أمير مكة الحالي في شهر ذو القعدة سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، وهو من ذرية الشريف أبو نمى أمير مكة السابق، ذكره فإنه رحمه الله توفي عن ثلاثة أولاد وهم: الشريف حسن وهو جد دولة أمير مكة الحالي والشريف بركات وهو جد الأشراف البركاتية وهذا الضعيف كاتب هذه الرحلة منهم والشريف أحمد الذي من ذريته الأشراف المناديل.

وفي صباح يوم الجمعة الرابع من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وألف سارت سرية عددها ألف مقاتل تقريباً إلى وادي حلى، والمسافة بينه وبين وز أبو العير أربع ساعات بالهجين وكانوا فرساناً وأرباب هجان، فغنموا ألفي رأس من الغنم وأربعمائة من البقر وثلاثمائة من الإبل وقتلوا سبعة من أهالي حلى وأخذوا خمسة من العبيد وأسروا ثلاثة ورجعوا

إلى المعسكر وأخبرونا أنهم شاهدوا بين وادي حلى ووادي يبا أطفالاً تحت الأشجار قد ماتت من شدة الظمأ حينما فر أهالي وادي يبا قاصدين حلى ووجدوا أطفالاً ملقاة بالطريق لا يزيد عمر الواحد منهم عن ستة أشهر أو سبعة تركوا حال فرار أمهاتهم من هول الحرب، ولا شك أن هذا حصل لهم بسبب كرامات الإدريسي التي تكرّم عليهم بها. وفي اليوم المذكور ورد من جدة إلى القنفذة بحرا ذخائر حربية ووصلت إلى أم الجرم، وفي يوم السبت خامس جماد الثاني حضر من الآستانة العلية نشأت باشا بصفته قائداً عاماً لجميع العساكر النظامية، وذلك إجابة لطلب دولة أمير مكة، وكان دولته هو القائد العام لعموم الجيش وكان جلّ قصده حفظه الله فكّ حصار أبها عاصمة عسير بسرعة زائدة خوفاً من سقوطها في أيدي الأعداء لطول زمن الحصار، إذ لو سقطت في أيديهم لا يمكن أخذها منهم إلّا بعد مشقات زائدة، لذلك لم يتوجّه بجيشه إلى الإدريسي الذي كان مقيماً بصبيا التي تبعد عن قوز أبو العير سبعة مراحل، وكان المكلف يضربها محمد علي باشا، وإلى اليمن المقيم بجيشه في اسكلة صبيا جيزان وأسباب عدم الضرب نجهلها، فربنا يصلح بعض قواد جيش دولتنا المظفرة فقصد دولة الأمير التوجه إلى أبها مباشرة، ولما

كمل ورود الذخيرة أمر عموم الجيش بالمسير من أم الجرم إلى قوز أبو العير فسرنا في يوم الاثنين سابع جماد الآخرة الساعة العاشرة نهاراً، وكان عدد الجند المنتظمين أربعة آلاف وثمانمائة ونزلنا بوادي عجلان وبتنا هناك، وبعد صلاة الصبح صار الجيش بقيادة دولة الأمير وأقبلنا على قوز أبو العير في منتصف الساعة الثانية من اليوم المذكور، فقابلنا الجيش المظفر الموجود هناك من العرب والأتراك وكان الجميع فرحين مسرورين بقدوم دولة الأمير عليهم وكانت القواد قد نظمت الجيش لمقابلة دولته وصاروا يطلقون النار من أسلحتهم والفرسان تركض بخيلها أمام ركابه حتى شرف السرادق المخصوص لنزول دولته فيه، وفي يوم الأربعاء التاسع منه وفد على دولته عربان تهامة الذين كانوا يحاربوننا بالأمس، ومعهم مشايخهم وهم في غاية الخضوع والذلّة مظهرين ندمهم على ما حصل منهم طالبون العفو عنهم مستعدين لأداء ما عليهم من الزكاة المفروضة شرعاً فعفا عنهم دولته حفظه الله وكسا مشايخهم وولي عليهم أميراً من الأشراف من طرفه وهو الشريف شنبر لجمع الزكاة منهم وتسليمها إلى قائم مقام القنفدة في يوم الخميس العاشر منه حضر مشايخ وادي حلى وهم أحمد الصمى وابن الصغير

والشيخ عجي ومعهم مشايخ وادي يبا وهم علي بن مديني وابن خيره والبيطلي السابق ذكرهم، وهم كانوا من أعظم أنصار الإدريسي لأن قبائلهم أعظم قبائل تهامة في العدد والعدة، وهم مشهورون بالشجاعة غير أنهم لا يركبون الخيل ولا الهجان لعدم وجودها في ديارهم بل هم أهل فلاحة وزراعة، فلما اجتمعوا بين يدي دولة الأمير قام دولته فيهم خطيباً وألقى عليهم النصائح الغالية وأمرهم بعدم شق عصا الطاعة وعدم الخروج على مركز الخلافة الإسلامية وحذرهم من دسائس المفسدين، فلما سمعوا نصحه بثوا لدولته شكواهم من الإدريسي وأظهروا أنه أثّر عليهم بدهائه وخدعهم بمكره حتى أطاعوه ونحن الآن قد حصحص لنا الحق فنطلب العفو من أمير القبلة عمّا مضى، وسنكون من الآن من أشد المخلصين للدولة العلية ولا نسمع فيها وشاية أي واش من المفسدين، فعفا عنهم وأمرهم بأداء الزكاة للدولة العلية فامتثلوا خاضعين وانضموا لجيشنا لمحاربة العصاة، وفي هذا التاريخ قدم علينا باخرتان حربيتان عثمانيتان وأصدر دولة الأمير لهما الأمر بالتوجّه لضرب ثلاث جهات على شاطئ البحر الأحمر وهي الشقيق والوسم والبرك لأن هذه الجهات الثلاث هي مصدر السلاح الأوروبي الذي يرد من مصوع

وجبوتي وعدن من الدول الأجنبية المعادية للدولة العلية باسم الإدريسي وهو يوزعه على القبائل الموالية له وقبائل تلك الجهات الثلاث هم أشر القبائل المعادية للدولة، لأنهم متغالون في حب الإدريسي وذلك لأن منهم قوماً يذهبون إلى المرافئ الأجنبية للإتيان بجميع ما يلزم للإدريسي، وقد امتلأت قلوب هؤلاء القوم من كراهة الدولة العلية بسبب ما يسمعونه من الأجانب الذين لا يفتر لسانهم عن ذمها لكونها إسلامية، فكانوا إذا حضروا يبثون في قبائلهم ما سمعوه عن الدولة العلية ويصفونها بكل مكروه وإظهار فضل الدول الأجنبية، وأنها منبع العدل والإنصاف وتسعى في راحة رعاياها إلى غير ذلك مما جعل هذه القبائل تكره الدولة العلية وتتمنى لها الفناء. وشيخ هذه القبائل هو علي بن عبدة المقيم بالبرك، وكان دولة الأمير قد أرسل له ينصحه بعدم العصيان ويأمره بالطاعة لدولتنا العلية، فلم يزد إلا عتواً ونفوراً فلما يئس الأمير منهم وتحقق عنده أن تلك الجهات هي منبع الفساد لعموم أهل اليمن، أمر قائد البواخر الحربية بالتوجّه لها وضربها، فتوجهت البواخر وابتدأت بضرب البرك المقيم بها رئيس هؤلاء العصاة الشيخ علي المذكور، فخربتها البواخر بمقذوفاتها وهرب هو إلى صبيا قاصداً رئيسه في الفساد

الإدريسي، وبعد ذلك توجهت البواخر إلى مرفأ الشقيق فقتل من أهلها من قتل وهرب منهم من هرب، ثم ذهبت البواخر إلى الوسم لضربها أيضاً، فاجتمع أهلها من رجال ونساء وأطفال على شاطئ البحر أمام البواخر وصاروا يهللون ويكبرون ويضربون البواخر بالرصاص وهم يقولون: (المدد يا مهدي الله يا إدريسي) وكل منهم يعتقد أن نار البواخر ورصاص العدو لا يؤذيهم أبداً كما أخبرهم بذلك إمامهم الإدريسي، وعندهم يقين تام بذلك وبعد أن ضربوا البواخر بالرصاص أمر رئيس البواخر بإطلاق نارها عليهم فأطلقت عليهم حتى أحرقتهم ومات منهم بين ذكر وأنثى وطفل ما يزيد عن ستمائة شخص وفرّ الباقون هاربين فأمر رئيس البواخر بنزول الجيش إلى البلد، فلما شعر أهلها بنزول العساكر الشهانية فيها رفعوا علماً طليانياً على منزل كائن وسط البلد، فصوّبت باخرة نارها عليه فألقته وهدمت المحل الذي نصب عليه ذلك العلم وأنبث الجيش في القرية للبحث عن رافع هذا العلم الطلياني فقبضوا على شخص مختبئ فاعترف بأنه هو الذي رفع العلم الطلياني بأمر الإدريسي، فإنه أخبر أهل هذه الجهة أنه متى رفع هذا العلم على ديارهم صاروا في مأمن من عدوهم لأن أصحابه يدافعون عنهم متى رفعوه فوق بلدهم

فرفعونه وهم لا يدرون أصحابه لبساطتهم وسذاجة عقولهم فحسبنا الله ونعم الوكيل في هذا الرجل الفاسق الباغي الخارج عن الدولة الإسلامية، ولا شك أن هذا وأمثاله لا يرجى منهم خير أصلاً لأنهم اتخذوا الكافرين أولياء لهم وباعوا دينهم بدنياهم وكان هذا الرجل الغرّ سبباً في إراقة دم كثيرين من أهل اليمن الذي تسلط على عقولهم بدهائه فضلاً عن خراب بلاد وقرى كثيرة، ومن جملتها هذه المرافئ الثلاثة، فإنها لم تضرب إلّا بسببه. فنسأل الله الكريم أن يكفي الأمة الإسلامية شر هذا الرجل وأمثاله وأن يخذلهم حتى يبعد عن المسلمين شر الدسائس الأجنبية من الكافرين الذين لا يألون جهداً في بثها بين المسلمين، خصوصاً في مثل مصر، إذ فيها من جمعيات الفساد ما لا يحصى ومن جملتها تلك الجمعية التي أسست مسجداً على روح ملك إيطاليا بجوار أعظم مسجد ديني وهو الأزهر الشريف ليموهوا على بسطاء العقول بهذه الأفعال ويوهمون أن الإيطاليين مسلمون باطناً، وهذه الجمعية التي أثرت على الإدريسي حال وجوده بمصر كما أسلفنا وهي التي كانت ترسل المنشورات إلى العرب بطرابلس الغرب ليرضوا بحكم دولة إيطاليا لهم ويخرجوا من حكم الدولة العلية، ولكن الله سبحانه وتعالى قد خيّب رجاءهم، فإن

العربي مهما كان بسيطاً لا يقبل حكم النصراني بحال أصلاً. ولنرجع إلى الكلام السابق فنقول (وادي يبا) خصب التربة كثير المزروعات يأتيه الماء من جبل الحجاز والأراضي المنزرعة به تبلغ قدرها سبعين ألف فدان تقريباً من أجود الأطيان ومساحة الوادي من الشرق إلى الغرب سبعون كيلومتراً ومن الشمال إلى الجنوب ثمانية آلاف متر تقريباً، ويزرع في كل عام ثلاث مرات ومزروعاته الذرة والدخن والسمسم والنيلة والليمون والخضر بكثرة، وطينته صفراء وهو مقسم إلى حياض كتقسيم الأراضي الزراعية بمصر، وبهذا الوادي آبار كثيرة لسقي الأرض غزيرة الماء، أما أشجاره فكثيرة إذ كل قطعة (أو حوض) فهي محفوفة بأشجار الأثل بشكل منتظم حتى أن المقبل على الوادي يظنه غابة لكثرة الأشجار فيه.

ووادي حلى بهذا الشكل أيضاً إلا أنه أكبر من وادي يبا في الحجم وأكثر في الخيرات، إذ مساحته توازي ثلاثة أمثال وادي يبا.

ومكثنا بقوز أبو العير من اليوم العاشر من جمادى الآخرة إلى اليوم الحادي والعشرين منه، وفي هذا اليوم أمر دولة الأمير بالرحيل، فقام الجيش ومعه قبائل يبا وحلى الذين انضموا لجيشنا وكان عدد الإبل الحاملين للذخيرة ألفي جمل

من قبيلة حرب القاطنين أهلها بين مكة والمدينة، وفي مدة إقامتنا في وادي يبا كانت الإبل وهي ألفان والهجان وهي أربعة آلاف والخيل وهي خمسمائة والبغال وجميع الدواب التي مع العرب تأكل من الحبوب المتروكة من العصاة حتى ارتحلنا وهي لم تنفد لكثرتها.

ثم سار الجيش ولم نزل سائرين إلى الليل وبتنا أثناء الطريق ونهضنا بعد صلاة الصبح وسرنا حتى أدركتنا القيلولة فقِلنا في ربوة على طرف واد اسمه (مشرف) حسن المنظر كثير الأشجار والأنهار تجري فيه، ونصبنا خيامنا على غدير ماء مربع الشكل ثم نهضنا من هذا الوادي في الساعة التاسعة مساء يوم الأحد الثاني والعشرين منه ونزلنا الساعة الأولى من ليلة الاثنين بسوق الجمعة وهو المرحلة الحادية عشر من مكة وهو لقبائل تسمى (ربيعة) وفي كل يوم جمعة تجتمع القبائل من جميع الجهات في هذا المكان للبيع والشراء وعدد من يحضر بهذا السوق في يوم الجمعة يربو عن عشرين ألف نفس ولا يمسي المساء إلا وهم متفرقون كل إلى وطنه، وجميع أهل اليمن وأغلب أهل الحجاز لهم أسواق يجتمعون بها في أيام مخصوصة. ومن عوائد أهل اليمن المتعاهدين عليها أن كل سوق من أسواقهم يكون حفظه على أهل جهته لمنع اعتداء

الحاضرين على بعضهم حتى أن القاتل إذا حضر السوق وتقابل معه خصمه لا يقدر أن يمسّه بسوء بل يتحادثان مع بعضهما وكل في مأمن من الآخر، فإذا تفرقا ووصل كل إلى وطنه رجعا أعداء كما كانا، ومن خالف هذه العادة وقتل خصمه قتل من قبائل الجهة الموجود بها السوق ويكون دمه هدراً، وهذه المعاهدات المبرمة بينهم هي التي تجعل أسواقهم عامرة وهي قاعدة قديمة من زمن الجاهلية.

ومكان سوق الجمعة الذي نزلنا فيه واد منحصر بين جبال والمياه تجري فيه بكثرة وبتنا هناك وقِلنا به، وبعد القيلولة أمر دولة الأمير بالرحيل فرحلنا الساعة الثامنة مساء الاثنين الثالث والعشرين منه ونزلنا في ربوة ماؤها غزير في طرف هذا الوادي وبتنا هناك وسرنا الساعة الحادية عشر صبحية يوم الثلاثاء الرابع والعشرين منه، وبينما نحن سائرون في وسط الوادي بين مياهه إذ شعرنا أن القوم كامنون لنا في مضايقه المسماة (بريع الحجاية) وقد حصّنوا أنفسهم تحصيناً تاماً، فلما علم دولة الأمير بذلك رتّب الترتيبات اللازمة وجمع الجيش كله من عرب وأتراك وأخذ الكشاف (المنظار) بيده لاكتشاف القوم حتى عرف مكامنهم، فلما عرفها تماماً أمر باتجاه المدافع إليهم وكان دولته قائداً لها وبجانبه نشأت باشا ثم أمر كافة

الأشراف والعربان والعساكر النظامية والجندرمة أن يتسلقوا الجبال المقابلة للعدو وأمر بإطلاق المدافع فصارت ترسل مقذوفاتها على استحكاماتهم حتى دمرتها ثم هجم الجيش بأجمعه عليهم ودام القتال بيننا وبيهم إلى أن انهزم بعد ساعتين من الزمن، ووجدنا من قتلاهم سبعة خلاف الذين حملوهم وقتل من قومنا نفر من عساكر بيشه وآخر نظامي ثم نزلنا الساعة الرابعة من يوم الثلاثاء المذكور ورتب دولة الأمير على كل جبل كميناً يراقب القوم خوفاً من هجومهم علينا ليلاً ثم بتنا في مكاننا وسرنا منه منتصف الساعة الثانية عشر صباح يوم الأربعاء الرابع والعشرين منه، وقِلنا في مكان اسمه (الزبارة) وسط الوادي وهو المرحلة الثانية عشر من مكة وبتنا به.

وفي صباح الخميس الخامس والعشرين منه سرنا إلى الساعة الحادية عشر وفيما نحن سائرون وسط الوادي والجبال الشاهقة تحفنا من الجانبين ونحن في مضايق عسرة المسالك إذ حضر العيون الذين في المقدمة لكشف مكامن العدو، وأخبروا دولة الأمير أن القوم عندما انهزموا في القتال الأول جمعوا أنفسهم وكمنوا لنا في مكان يقال له (سهول) وهو من أعسر المضايق وعددهم يزيد عن سبعة آلاف مقاتل والقائد لهم السيد ابن عرار نائب الإدريسي بتلك الجهة، فرتب دولة

الأمير الترتيبات اللازمة ولما أقبلنا على مكامن القوم بادرناهم من بُعد بضرب المدافع، ولما كشفنا المضايق الكامنين فيها وجدنا الطريق يمر وسطها ولا يوجد لنا طريق خلافه فهنالك أيقنا بالهلاك وتعاهد الجيش بأجمعه على اقتحام هذا الطريق الذي لا يوجد غيره للوصول إلى ابها الذي نريد فك حصارها، إذ لو سقطت في أيديهم لا يمكن ردها إلّا بعد تضحية آلاف من الأنفس، لذلك صار دولة الأمير يشجع القوم على القتال وقد استمر تسع ساعات، والمدافع الجبلية والمكسيم والمترليوز تقذف عليهم نيرانها والأشراف والعرب تهجم عليهم من كل جانب، حتى انجلوا عن مكامنهم وانكسروا شر كسرة، وولوا مدبرين وتبعهم أبطالنا ولم يزالوا وراءهم حتى أجلوهم من كافة مضايق (سهول) وذهبوا إلى واد فسيح اسمه (بارق) ولما برحوا من الوعر إلى السهل اقتفى أثرهم الفرسان من جيشنا وصاروا يضربونهم بالسلاح الأبيض حتى دارت عليهم الدائرة وتركوا هذا المكان أيضاً، وبعد ذلك نزلنا في وادي بارق المذكور عند قرية تسمى (العُجم) وبتنا ليلتنا وقِلنا فيه اليوم الثاني.

وفي الساعة العاشر مساء يوم الجمعة السادس والعشرين منه سرنا حتى وصلنا أعلا قرى وادي بارق فانتشرت الجيوش

بالوادي للغنيمة فوجدوا من الحبوب ما لا يحصى فأخذوا ما أخذوا وتركوا ما تركوا، وأهل تلك القرى هم الذين حاربونا تحت قيادة ابن عرار نائب الإدريسي وهم قبائل شتى، وهي قبائل حميصة وبني التيم وبا القرن وآل موسى وآل جبلي وبعض قبائل ربيعة.

وبعد استقرار الجيش في هذا المكان بساعة حضر (الشيخ هيازع) شيخ قبيلة آل موسى ووقف بين يدي دولة سيدنا أمير مكة نادماً على طاعته مع قومه للإدريسي وخروجهم على أمير المؤمنين، وقال إن سبب طاعتنا له هو أني عند مقابلتي له مع كافة شيوخ تهامة والحجاز أكدّ لنا أنه هو المهدي المنتظر وأخبرنا أن دولة الترك صارت دولة نصرانية تجب محاربتها ولجهلنا بأغراضه الشيطانية أثّر علينا حتى اتفقنا على الجهاد، ومن جملة ما أخبرنا به أننا لو حاربنا الترك لا تؤثر فينا مقذوفاتهم النارية مهما كانت، بل يكون جيشهم غنيمة لنا حتى اعتقدنا أننا لا نحارب إلّا كفاراً وها قد انعكس الأمر علينا يا إمام القبلة وسلم جيشكم منا ومن نارنا وقتلنا شر قتلة، فعرفنا أننا كنا مخدوعين وأن كل من خالف أوامر أمير المؤمنين وشق عصا الطاعة فقد جر الوبال على نفسه وقومه، وقد ندمنا على ما فعلنا، فعسى الله أن يعفو عنا وها أنا قائم بين يديك يا دولة

الأمير فافعل بي ما بدا لك، فعفا دولة الأمير عنه وعن قبيلته «آل موسى» في الحال وأمر برفع السلب عن باقي قرى بارق إكراماً لهذا الشيخ، وبعد ساعة حضرت هذه القبيلة أمام سرادق دولة الأمير وشرع أهلها يلعبون بأسلحتهم النارية فرحين بالعفو عنهم وانضم بعضهم إلى الجيش لمقاتلة الأعداء.

ووادي بارق المذكور من أعظم الأودية اتساعاً خصب التربة خيراته كثيرة يزرع فيه السمسم والذرة والشعير والدخن والنيلة ولأهله اعتناء تام باستخراج زيت السمسم وإرساله للخارج بكثرة.

وقرى وادي بارق تبلغ خمسين قرية كلها مبنية بالحجر المنحوت الجميل والدور فيها من طبقتين إلى ثلاث، ولم نكن نظن أن يكون بهذه الديار اعتناء بالأبنية بهذا الشكل.

وتحقق لدينا ونحن هناك أن الذين قتلوا منهم في معركة (سهول) ستاً وعشرين ومائة من جملتهم شقيق ابن عرار نائب الإدريسي.

وبتنا في قرية من قرى آل موسى تسمى سوق الأحد، وهي موضع للبيع والشراء مثل سوق الجمعة المتقدم.

وفي يوم السبت السابع والعشرين منه حضر الشيخ عبد

الرحمن شيخ قبائل بني شهر من أهل تهامة وطلب من دولة الأمير أن يكون مرور الجيش من قبيلته، وكذلك صعود جبل الحجاز مع العقبة المسماة (ساقين) إذ هي لبني شهر أيضاً، فاستحسن دولة الأمير برأيه وأجابه إلى طلبه وذلك لأن عقبة محائل التي هي للحكومة وهي الطريق الرسمي الموصل إلى أبها عاصمة عسير هدمت من أسفلها إلى أعلاها بواسطة السيد مصطفى عامل الإدريسي بتلك الجهة وذلك لأنه حاصر قلعة شعار الواقعة في رأس العقبة وامتد الحصار ستة أشهر حتى اضطرت العساكر الشهانية إلى التسليم، فأخذهم أسارى وأرسلهم إلى صبيا مقر رئيسه وأخذ ما كان في القلعة من بنادق ومدافع ثم هدمها حتى لم يبق لها أثر يذكر، ولهذه الأسباب ترك دولة الأمير عقبة محائل وسار بجيشه إلى عقبة (ساقين).

وفي يوم الأحد الثامن والعشرين منه سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف أمر سيدنا بالرحيل من وادي بارق فارتحل الجيش بأجمعه وسار معنا الشيخ عبد الرحمن بن ذهيل ومعه قوم كثيرون من بني شهر، وقد مررنا أثناء سيرنا في أوديعة عسرة المسالك جداً، ولم نزل سائرين حتى وصلنا «وادي بقرة» التابع لقبائل بني شهر وهو كثير النخيل والعيون وبتنا هناك في ضيافة بني شهر وقمنا منه الساعة الحادية عشر صباح

يوم الاثنين التاسع والعشرين منه قاصدين عقبة ساقين.

وفي منتهى الساعة الواحدة صباح هذا اليوم ابتدأنا في صعود العقبة المذكورة وهي عقبة عظيمة جداً، ولبثنا جميع يومنا في صعود ثم بتنا أثناء العقبة في محل يقال له (صلبه) وهي روضة من رياض العقبة على طرف شلال ماء. وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الثلاثاء غرة رجب الفرد واصلنا الصعود مجدّين المسير حتى أدركتنا القيلولة فقلنا في روضة يقال لها «براد» تحت أشجار متنوعة الأشكال ذوات روائح زكية، وبعد القيلولة نهضنا وأخذنا في الصعود إلى أن وصلنا سطح العقبة منتهى الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء ثاني رجب ونزلنا في واد يسمى «تنومة» لبني شهر أهل الحجاز، إذ قبيلة بني شهر بعضها ساكن فوق الجبل المسمى بالحجاز ويسمون بأهل الحجاز وبعضهم ساكن بتهامة ويقال لهم أهلي تهامة، وقبيلة بني شهر من أعظم قبائل اليمن وعددهم يزيد عن ستين ألف مقاتل، ومكثنا هناك إلى اليوم السادس حتى وردت جميع الإبل والدواب الصاعدة بالذخائر مع العساكر النظامية لأن صعود هذه العقبة شاق جداً إذ يبلغ ارتفاع وادي تنومة عن سطح البحر ثلاثة آلاف متر تقريباً، وبرده في فصل السرطان أقوى من شتاء مكة المكرمة وهواؤه أجود من هواء جبل لبنان

الموجود بالشام، وقد أقمت في جبل لبنان صيف عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة وكنت أظن في ذلك الوقت أنه لا يوجد ما يماثله في جودة الهواء، فلما رأيت هذا الوادي وجدت فرقاً عظيماً بينهما.

وهذا الوادي تابع لقائم مقامية «النماص» وهي من أقضية لواء عسير وتسمى هناك بقضاء بني شهر وفي الوادي المذكور نهر عظيم يتفرع منه جداول تجري فيه من كل جانب، ويزرع في هذا الوادي الحنطة والشعير والعدس بكثرة، وثمنها عندهم رخيص جداً فكل تسعة أمداد من البر بريال وكل ثلاثة عشر مداً من الشعير بريال، وكل ثمانية أمداد من العدس بريال، هذا عند ارتفاع الأثمان أما الثمن المعتاد بينهم فهو كل أردب من البر بثلاثة ريالات وكل أردب من الشعير والعدس بريالين. وجميع أهل الشرق ونجد وبيشه يفدون على بني شهر القاطنين بجبل الحجاز بالتمر والإبل والخيل ويشترون منهم الحبوب والريال المستعمل بينهم هو الريال الفرنسي المسمى بأبي طيره وهو يساوي عشرة قروش مصرية. وجبل الحجاز المذكور يفضل عن غيره بأربعة أشياء بجودة السمن بسبب جودة المرعى وغنمه لا يوجد أحسن منها وماءه من أعظم المياه وأخفها وهو شديد البرودة في فصلي الأسد والسنبلة كأنه مثلج

أما في أيام الشتاء فإن جميع المياه به من غدران وأنهار وآبار تتجمد من شدة البرد وسكان هذا الجبل في غاية القوة وسلامة البدن وإنما سمي هذا الجبل بالحجاز لأنه هو الحاجز بين تهامة ونجد، وأقل ارتفاع فيه عن سطح البحر ألفا متر ومساحته واسعة جداً ويحدّه من جهة الشمال عقبة كري التابعة للطائف، ومن جهة الجنوب جنوب صنعاء بأربعة أيام وطوله من الشمال إلى الجنوب إحدى وأربعون مرحلة، وكل مرحلة سير يوم بالإبل المحملة وهي أربعون كيلو متراً، وسأذكر لك تفصيل بعضها فمن الطائف إلى أبها عاصمة عسير خمسة عشر مرحلة ومن أبها إلى صعدا سبع مراحل ومن صعدا إلى شهارة ثمان مراحل ومن شهارة إلى صنعاء عاصمة ولاية اليمن سبع مراحل ومن صنعاء إلى نهاية جبل الحجاز جنوباً أربع مراحل وعدد سكان جبل الحجاز على أقل تقدير أربعة ملايين ونصف.

أما من الشرق إلى الغرب فلا يتجاوز أربع مراحل من أي جهة كانت وتهامة اليمن السالف ذكرها هي أرض مبسوطة منخفضة عن جبل الحجاز انخفاضاً عظيماً وهي واقعة بين جبل الحجاز والبحر الأحمر شديدة الحرارة كثيرة الأودية، فلا يبعد الوادي فيها عن الآخر أكثر من ثلاث أو أربع ساعات

وجميع الأودية تشرب من السيول التي تهبط من جبل الحجاز المذكور وكافة أودية تهامة جيدة صالحة للزراعة وتزرع بماء السيل الذي يأتيها من الجبل في السنة ثلاث زرعات.

وتهامة اليمن تبتدئ من جهة الشمال بقائم مقامية الليث التابعة لإمارة مكة وفيها أمير مولى من قبل دولة أمير مكة ويحدها من الجنوب بلاد سلطان لحج وعدن وعدد مراحل تهامة من جهة الشمال إلى الجنوب أزيد من خمسين مرحلة وجميعها آهلة بالسكان، إذ يبلغ عدد أهل تهامة على أقل تقدير خمسة ملايين.

وجبل الحجاز الفاصل بين تهامة ونجد آهل بالسكان وقراه متصلة ببعضها، فإذا سافر مسافر من الشمال إلى الجنوب فإنه يكون دائماً بين مزروعات وأشجار وأودية كثيرة المياه والمرعى، وجميع الجبل بهذا الشكل وكافة قراه مبنية بالحجر المنحوت ودورها من طبقتين إلى ثلاث ولا يوجد فيه أكواخ مثل تهامة.

وأما نجد فهي في الجهة الشرقية من جبل الحجاز وهي سهل منخفض عن جبل الحجاز بخمسمائة متر فأقل.

وفي اليوم الثاني من وصولنا وادي تنومة المذكور وهو يوم الخميس ثالث رجب وفد على دولة الأمير قبائل بني شهر

تحت رئاسة نجل شيخهم المسمى «فائز» ورئيسهم الأكبر هو سعيد بن قرم والد فائز المذكور لم يحضر لأنه كان محصور بأبها وهذه القبيلة هي المخلصة للدولة العلية ولم تمل للإدريسي أصلاً بل رفضت طاعته وذلك لكثرة المراسلات بينهم وبين دولة أمير مكة حتى أنه صد الإدريسي عن جهتهم.

والشيخ سعيد بن غرم المذكور أشرف أهالي جبل الحجاز جاهاً ونسباً حتى أن سيدنا المرحوم الشريف محمد بن عون أمير مكة صاهرهم فأعقب من هذا البيت دولة سيدنا المرحوم الشريف علي والد دولة سيدنا الشريف حسين باشا أمير مكة الحالي.

وكان الإدريسي تمكّن من خداع قبيلة من بني شهر يقال لها بني يثلا وشيخهم شبيلي بن عريف فوالوه ولما وصل دولة الأمير وادي تنومة امتنع هذا الشيخ من مقابلة دولته خجلاً، أما قبيلته فقد امتثلت جميعها لطاعة دولة الأمير وعيّن الأمير الشيخ سعيد بن غُرم بك قائم مقام لقضاء بلدة «النماص» وجعله شيخ مشايخ كافة بني شهر وعنده نيشان من الدولة العلية بخدماته الجليلة ونجله فراج بيك مبعوث بمجلس المبعوثان بالدولة عن قبيلة بني شهر، وبعد صلاة صبح اليوم الثامن من رجب حضرت العيون وأخبرت دولة الأمير أن قوم

الإدريسي كامنون في عقبة تسمى «دهماء» تحت قيادة الشيخ محمد بن دليم شيخ قبائل قحطان، وهذه العقبة من أعسر العقبات إذ لا يمكن الصعود لها إلا فرداً فرداً من الطريق العمومي وعدد قومه الكامنين خمسة آلاف فأمر دولة الأمير حفظه الله بترتيب الجيش من عرب وغيرهم وأمر بتقديم المدافع أمام الجيش ولما أقبل الجيش على العقبة اشتبك القتال فأمر دولة الأمير بإطلاق المدافع على مكامن العدو وقسم الجيش قسمين قسماً في الجناح الأيمن وقسماً في الجناح الأيسر وبقي هو حفظه الله في قلب الجيش ومعه الأشراف، ودام القتال أربع ساعات، والمقذوفات من المدافع والبنادق متوالية حتى تزلزلت الجبال وبعد ذلك انكسر العدو شر كسرة وانهزموا تاركين في ساحة الوغى ثمانين قتيلاً منهم ثلاثون من قحطان وأربعة عشر من قبائل بال الأحمر واثنا عشر من قبائل عسير وسبعة من قبيلة بني يثلا الشاذة من قبائل بني شهر وعشرة من قبائل بالاسمر وتم لنا ولله الحمد النصر، ودخلنا ديار بالاسمر بعد أن جلونا الأعداء عن عقبة «دهماء» وعقبة «سدوان» وانتشر الجيش في قرى بالاسمر لكسب الغنائم فغنم من المواشي والحبوب والأثاث شيئاً كثيراً، فلما رأى أصحاب القرى ذلك وفدوا على دولة الأمير

ومعهم شيخهم علي بن جعدان وصاروا يذرفون دموع الندم على ما حصل منهم من العصيان حتى لحقهم ما لحقهم من التلف وصاروا يصرخون طالبين العفو والرحمة من دولة الأمير فرقّ لهم قلب دولته وعفا عنهم وأمر في الحال بإرجاع ما أُخذ منهم وأنعم على شيوخهم بالكساوي وقد انضم الشيخ وبعض قومه إلى الجيش المنصور بعد ما اتّضح لهم كَذِب الإدريسي وبهتانه وكان هؤلاء القوم يحاربوننا معتقدين أننا كفار وأن جهادهم في طاعة الله بناء على التعليمات الخبيثة التي أدخلها في أذهانهم الإدريسي الخبيث حتى اعتقدوا أن المدة من الهجرة إلى عام ظهور الإدريسي زمن فطرة وصاروا يسمونه بزمن الجاهلية في جميع أحاديثهم وذلك لبساطتهم المتناهية.

وكان دخولنا في هذا الوادي المسمى بوادي «حوراء» في منتهى الساعة الحادية عشر من يوم الأربعاء مساء تاسع رجب وقد قتل من جيشنا في هذه المعركة ثلاثة، اثنان من العساكر النظامية وواحد من العرب.

وهذا الوادي كثير المزروعات خصب التربة ومحصولاتها من البر والشعير والذرة كثيرة وجباله مملوءة بأشجار العرعر واللوز والتين والعنب والخوخ وغير ذلك من الفواكه، وبهذه الجبال ينابيع طبيعية خارجة من جوف الصخور ينحدر ماؤها

بشكل غريب إلى وادي «حوراء» ومنظر هذا الوادي جميل للغاية وقراه متصلة ببعضها وبه عيون ماء كثيرة تسيل على وجه الأرض.

ولما استقر بنا المقام بهذا الوادي أقبل علينا رجال قبائل بالاسمر نادمين على ما حصل منهم قائلين إننا بلا شك نستحق ما حل بنا من الذل والهوان وسنكون من الآن من أخلص رعايا جلالة أمير المؤمنين وسيادة دولة الشريف إمام القبلة، وإننا مستعدون بدفع الزكاة الشرعية على التمام فأمرهم دولة الأمير بإحضارها وإرسالها معه إلى «أبها» عاصمة عسير فأحضروا الزكاة التي كانت مؤخرة عليهم محمولة على إبلهم لتوصيلها إلى أبها وتسليمها للمتصرف.

ثم أمر دولة الأمير بالرحيل صباح يوم الخميس عاشر رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف فسرنا حتى نزلنا في قرى بالاسمر في مكان يسمى سوق الاثنين، وأقمنا يومين ثم رحلنا صباح يوم السبت ثاني عشر رجب قاصدين قرى قبيلة بالاحمر فوصلنا الساعة التاسعة مساء اليوم المذكور قرى واد يسمى (عَمْقَ) وفي الجهة الجنوبية من هذا الوادي عقبة يقال لها (بيحان) ولما نزلنا في هذا المكان قدم العيون على دولة الأمير وأخبروه بأن قوم الإدريسي كامنون لنا في عقبة بيحان

تحت قيادة الشيخ ابن (دليم) القحطاني الذي كان فرّ منا في الواقعة الأولى ومعه الشيخ الحفظي من مشاهير رجال «المع» والشيخ ألفويه من شيوخ قبائل «شهران» القاطنين في الجهة الشرقية من عسير ومعهم أربعة آلاف وثلاثمائة مقاتل منهم سبعمائة من أهالي عسير وألف من رجال المع وسبعمائة من قبائل بالاحمر وثمانمائة من محايل والشقيق وصبيا ووادي أبو عريش وهؤلاء من أهل تهامة وخمسمائة من قبائل قحطان التي هي أكبر قبيلة في جزيرة العرب وستمائة من قبيلة شهران، فلما سمع الأمير ذلك رتّب الجيش الترتيب اللازم لمقابلة العدو وأخذ أربعة طوابير نظامية وأربعة مدافع جبلية ورشاشتين من صنف المترليوز وجعلهم تحت قيادة دولته ولزم الجبل الأوسط وأمر طابورين آخرين والأشراف وألفاً من العربان بالسير إلى الجناح الأيمن تحت قيادة نجله عبد الله بك وأرسل معنا مدفعين جبلين وواحد مترليوز وأمر طابورين أيضاً من العساكر النظامية وألفاً من العربان بأن يكونوا في الجناح الأيسر تحت قيادة نجله فيصل بك وأرسل معهم مدفعين جبلين وواحد مترليوز وبعد أن تمت الترتيبات ووقف كل قائد منهم في مركزه أطلقت المدافع على استحكامات العدو وصار الجيش يتقدم إلى الأمام وكان مبدأ القتال الساعة السابعة من مساء يوم

الأحد ثالث عشر رجب واستمر إلى منتهى الساعة الأولى من ليلة الاثنين الرابع عشر منه، وافترق الجيشان على غاية من التعب وفي صباح يوم الاثنين وقت الأسفار اشتبك القتال بالبنادق والمدافع وكان الأعداء يصيحون بنا أتبغون فك حصار أبها وتخليص النصارى الموجودين فيها، ووالله وحق محمد المهدي الإدريسي لا تصلون إليها بحال أبداً وسيكون هذا الوادي مقبرة لكم ويكون ما معكم غنيمة لنا كما أخبرنا المهدي بذلك بوحي من الله، فلم يأت آخر الساعة العاشرة من اليوم المذكور حتى انكسروا شر كسرة ولم نزل وراءهم نقتل فيهم حتى ملكنا العقبة من شرقها إلى غربها ولما انجلوا عن العقبة بأجمعها سجد دولة الأمير حفظه الله شكراً لله على هذا النصر العظيم وامتلاك تلك العقبة ثم أمر العساكر النظامية والجندرمة بالصعود إلى أعلى العقبة والمبيت بها للمحافظة عليها وبقي دولته مع باقي الجيش بوادي (بيحان).

وفي صباح يوم الثلاثاء الخامس عشر من رجب سرنا من قرى بيحان وصعدنا العقبة وهي عسرة المسالك كثيرة الأشجار ومنظرها من أجمل المناظر وبها قرى كثيرة، فأخذ الجيش ما كان بها من المتاع ولم نزل سائرين حتى وصلنا قرى من أملاك بالاحمر في واد يسمى وادي (صبح) وكان ذلك في الساعة

التاسعة آخر اليوم المذكور فنزلنا هناك وهو واد خصب جداً كثير البساتين والأشجار ويزرع فيه البر والشعير والذرة والسمسم والبرسيم والأنهار فيه بكثرة وجباله كأنها رياض تحفها الأشجار من العرعر واللوز والتين وغيرها من النباتات ذوات الرائحة الزكية وهواء هذا المكان جميل جداً وماؤه من أحسن المياه، ولما استراح دولة الأمير في سرادقه ونزل الجيش بأجمعه أقبلت قبائل بالاحمر تحت قيادة شيخهم محمد بن محص والكل خاضعون ممتثلون وطلب شيخهم من دولة الأمير الأمان والرحمة له ولهم فأمَّنهم دولته وكسا شيخهم وكبارهم وصاروا يسخطون على الإدريسي كما سخط عليه غيرهم ممّن قبلهم وتعاهدوا بأداء الزكاة للدولة وإرسالها لمركز عسير العمومي (أبها) وتعاهدوا على ذلك، فأمر دولة الأمير جيشه برد أموالهم إليهم فلما رأوا ذلك من دولة الأمير انضموا لجيشه ورغبوا في محاربة الإدريسي ومن معه ثم أخبرونا عن ما قتل منهم ومن باقي القبائل فإذا عددهم خمس وسبعون تسعة من رجال (بالاحمر) وعشرة من رجال (المع) وثلاثة عشر من (قحطان) وخمسة عشر من أهالي (صبيا وتهامة) وعشرون من (شهران) وثمانية من قبائل (عسير).

وفي صباح يوم الخميس سابع عشر رجب سنة تسع

وعشرين وثلاثمائة وألف سرنا قاصدين عقبة يقال لها (عقبة صبح) فلما أقبل عليها أوائل جيشنا أطلق العدو نيرانه فاشتبك القتال بيننا وبينهم ساعتين ثم انكسروا وقد قتل منهم عشرة وقتل من جيشنا عسكري نظامي وجرح واحد من أتباع الأمير وبعد ما قطعنا العقبة مررنا بأودية خصبة مغطاة بالأشجار تجري فيها المياه بكثرة ولم نزل سائرين حتى وصلنا وادياً يقال له (عَبلْ) فنزلنا فيه الساعة التاسعة مساء يوم الخميس المذكور. وهذا الوادي فاصل بين ديار بالاحمر وديار قبائل عسير وهو واد خصب التربة مزروعاته كثيرة وبه من أشجار الفواكه ما لا يحصى لكثرتها، وفي صباح يوم الجمعة ثامن عشر رجب أمر دولة الأمير بالرحيل، فرحلنا ووجهتنا (شعار) وعند منتصف الساعة الثانية حضر عيون جيشنا وأخبروا الأمير بأن قوم الإدريسي كامنون بعقبة يقال لها (عقبة الدرجة) تحت أعلام أربعة مع كل علم ألفان وخمسمائة مقاتل تحت قيادة أربعة مشايخ منتدبين من قبل السيد مصطفى المحاصر (أبها) عاصمة عسير وهو نائب الإدريسي على جبل الحجاز. والقواد الأربعة المذكورون هم السيد عبد الرحمن ومحمد بن دليم القحطاني والفويه شيخ شهران وواحد من شيوخ رجال المع وهم ممتدون في العقبة مسافة ثلاثة آلاف متر من المشرق إلى

المغرب فأمر دولة الأمير الجيش بأن يكمن في سد جبل أمام العقبة المذكورة وأن لا يسير إلى الأمام ثم رتّب حفظه الله الجيش ترتيباً تاماً ووضع أمام كل علم من أعلام العدو مدفعين جبليين ومدفعا مترليوز وطابورين من العساكر النظامية وقسم الجيش العربي والأشراف قسمين قسماً في الجناح الأيمن تحت قيادة (عبد الله بك) وقسماً في الجناح الأيسر بقيادة (فيصل بك). وأمر العساكر النظامية بالصعود على رؤوس الجبال ومعهم المدافع لمقابلة العدو وجهاً بوجه، ثم أمر حفظه الله أرباب المدافع بضرب الاستحكامات التي شيّدها العدو بالعقبة ووضع فوقها أعلامه فاشتبك القتال بيننا وبينهم ودام ست ساعات والمدافع تقذف نيرانها عليهم وجيشنا يتقدم بين نار الرصاص من الطرفين. ولما رأى دولة الأمير أن القتال سيطول أشار على رجال المدافع بأن يوجهوا مقذوفاتها نحو الراية المنصوبة من العدو تجاه دولة الأمير فحرر أحدهم مدفعه على راية العدو المذكورة فرماها وقتل تحتها ثمانية أشخاص فلما سقط العلم ولّى الأعداء هاربين وانتشر الفشل بينهم، فانكسروا شر كسرة وشتت الله شمل هؤلاء البغاة وانجلوا عن العقبة وصعد جيشنا سطحها واقتفى فرسان العرب أثر العدو يقتلون فيهم حتى انجلوا عن مكامنهم انجلاء تاماً

وقتل منهم في هذه المعركة ما يزيد عن مائتين من قوم الشيخ مصطفى المحاصر لأبها عاصمة عسير الذي مات فيها أثناء الحصار بسبب الجوع ما يزيد عن خمسة آلاف نفس.

ولما شتت الله شمل العدو وتفرقوا باكين على من فقد منهم في ساحة الوغى ووصل الخبر إلى (مصطفى) عامل الإدريسي المحاصر (لأبها) وأيقن بشتات شمل قومه ولّى هارباً من جبل الحجاز إلى تهامة وترك أمواله وكنوزه التي كنزها من الفضة والذهب وجميع ما يملكه في قصره الموجود في قرية من قرى عسير، ولما شعر أهل القرية بفرار أميرهم أطلقوا المسجونين من العثمانيين ومن العرب غير موالين لهم ويربوا عددهم عن خمسمائة شخص، وبعد أن أطلقوهم من سجنهم اقتفوا أثر أميرهم حتى لحقوه في منتصف العقبة أثناء نزوله ولما أبصروه صاحوا صيحة واحدة وقالوا له: (قف يا ساحر فإنك سحرتنا وخدعتنا بأضاليلك أنت والشيطان الإدريسي حتى خرجنا عن طاعة الدولة واتّبعناكم فنزل ما نزل بنا من البلاء) فلما سمع الرجل ذلك وقف خائفاً وجلاً حتى أدركوه وأخذوا يضربوه بالعصي حتى صرعوه وأخذوا ما كان معه من الأموال وجردوه من ثيابه ولم يتركوا عليه سوى مئزر يستر عورته ثم تركوه في أسوأ حال وهذا بلا شك مآل كل من

شق عصا الطاعة وسعى في التفريق بين الأمة الإسلامية.

ويا ليت هذا الطاغية اقتصر على بث الفتنة في أنحاء عسير بل أراد أن يبثها في جميع أنحاء جزيرة العرب.

وذلك أنه كان يرسل رسلاً من قبله من أهالي صبيا لقبائل العرب بصفة مبشرين بظهور المهدي المنتظر، وأنه قد ظهر بصبيا وهو «الإدريسي» وكان مع هؤلاء الرسل قطعة حبل من قطن وورقة مكتوب فيها بخطه كما يزعمون ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ وكانوا إذا أتوا قبيلة ذهبوا إلى رئيسها وأخبروه أنهم قادمون لمبايعته من قبل المهدي، فإن كان من البسطاء وقبل منهم ذلك سلموه طرف الحبل الموجود معهم وأعطوه الورقة المتقدم ذكرها، وإن كان من العقلاء طردهم ولم يوافقهم ولله الحمد أحد من قبائل الحرمين الشريفين.

وقد شاهدت بعض هؤلاء المبشرين بنفسي وذلك أني خرجت من مكة في شهر صفر سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف قاصداً وادي فاطمة لتفقد بعض مزروعاتنا فلما وصلت قريتنا التي تسمى «قرية أبي عروة» رأيت هناك بعض المبشرين من أعوان الإدريسي المتعهدين ببث الفساد فجلست أستمع له فصار يحدثنا بكرامات الإدريسي التي تقدم ذكرها أول هذا

الكتاب وصار يخبر أنه هو المهدي المنتظر وأنه في هذا العام سيكون عندكم يوم عرفة ويظهر ظهوراً تاماً وأنتم يا أشراف مكة أحق الناس في الإسراع بالبيعة لا لأنه هو الذي أخبر به جدكم. ولم يزل يذكر من خرافاته ونحن نوافقه تارة ونعارضه أخرى حتى عرفنا حقيقة أمره وتيقناً أنه من أعوان رسل إبليس الذين أخذوا على عاتقهم التفريق بين المسلمين والسعي في انقلاب الأمة على دولة جلالة مولانا أمير المؤمنين ليرضوا بذلك أعداء الدين. ولما تحققنا ذلك طردناهم من أرضنا وقد طردوا أيضاً من كافة القبائل فاحذروا أيها المسلمون من الدسائس الخارجية والداخلية والتفوا حول الراية العثمانية حتى يؤيد الله بكم دينه وينصركم على أعدائه فإن التفرقة ضياع لكم ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾.

وبعد أن كمل صعود جيشنا المظفر إلى سطح (عقبة الدرجة) حثثنا السير قاصدين (شعار) فوصلناها الساعة العاشرة مساء الجمعة ثامن عشر رجب فوجدنا القلعة الواقعة أعلا عقبة (محايل) قد خربها مصطفى عامل الإدريسي بواسطة أعوانه (وشعار) موضع متّسع تحفه الجبال وسرنا حتى وصلنا الساعة الحادية عشر آخر النهار وادي قبيلة بني مالك من عسير فلما دخلناه تفرّق الجيش للغنيمة فأخذ ما وجده في

القرى وبعد ذلك حضر مشايخهم بدولة الأمير وطلبوا منه الأمان لهم ولقبائلهم فأمنهم وأمر برد ما أخذ منهم وأمر مشايخهم بأن يصحبوه إلى أبها ففرحوا بذلك فرحاً تاماً .

وفي يوم السبت تاسع عشر رجب رحلنا صباحاً قاصدين (أبها) فلما قربنا منها سمعنا أصوات المدافع بجهتها فأرسل دولة الأمير الرسل ليكشفوا لنا الخبر فلما حضروا أخبرونا أن مصطفى عامل الإدريسي حينما أيقن بقدوم دولتكم ترك حصار أبها وأن هذه المدافع هي من قبل «سليمان باشا» متصرف عسير الذي كان محصوراً وقد خرج من أبها بعد فك حصارها وها هو قادم ومعه طابوران من العساكر لملاقاة دولة الأمير وكانت المسافة بيننا وبين (أبها) ثلاث ساعات فلما تحقق دولة الأمير قدوم سليمان باشا المذكور أمر جيشنا بإطلاق المدافع إكراماً له وشمل السرور جميع الجيش لخلاص أبها من حصار هذا الطاغية ولما حضر سليمان باشا سلم على دولة الأمير وهنأ الجيشان بعضهما بالنصر واختلطا معاً .

وفي الساعة التاسعة مساء هذا اليوم دخلنا أبها وجميع الجيش والأهالي فرحون مسروررون لا ينطقون إلا بالدعاء للدولة العلية، وفي وقت دخولنا هطل المطر من السماء بكثرة

واستمر تلك الليلة، وفي اليوم الثاني من دخولنا حصل الرخاء في الأسعار وأتت وفود العربان من جميع الجهات ومعهم الأرزاق بكثرة وكان المد من البر وهو أقتان قد بلغ ثمنه قبل دخولنا بيوم جنيهاً عثمانياً وريالاً فرنسياً وكان قمع السكر ثمنه جناهان وثمن الشاة أربعون ريالاً والتنكة من السمن بثمانية جنيهات عثمانية وأقة الدخان المهرب بأربعة جنيهات فلما أتت الوفود بالأرزاق نزلت الأسعار فصار كل خمسة أمداد من البر بريال والقمع السكر بريال والشاة من ثلاثة إلى أربعة والتنكة من السمن بجنيه وأقة الدخان بريالين.

وصارت القبائل ترد تباعاً إلى أبها لمقابلة دولة الأمير والكل نادمون على ما حصل منهم ساخطون على الإدريسي ومن تبعه بعد أن كانوا يحاربوننا معتقدين كفرنا وصاروا يسخطون ويلعنون من غرس تلك العقيدة بقلوبهم لأنهم عرفوا يقيناً أنهم كانوا مغرورين مخدوعين بأقاويل باطلة.

وكان القائد لعموم من حضر من العربان «الشيخ حسن بن علي بن محمد بن عايض» ومحمد بن عايض هذا كان ملكاً لليمن وحصل بينه وبين الدولة منافسات أدّت إلى الحرب فأرسلت الدولة العلية له جيشاً عظيماً بقيادة «دولة مختار باشا الغازي» فتغلب على ابن عايض وقهره واضمحل ملكه وقبضت

عليه الدولة واستولت على مقرّ ملكه وهو «أبها» ومن ذاك التاريخ والشيخ حسن هذا نافر من الدولة نفوراً تاماً وكان دائماً بينه وبين الدولة مشاغبات فلما وصل دولة أميرنا المحبوب إلى (أبها) حضر الشيخ حسن بن علي المذكور وأحضر معه جميع الأسلحة التي كان أخذها مصطفى عامل الإدريسي من قلعة شعار وفرقها على أهل عسير ليستعينوا بها على محاربة الدولة، فلما أحضرها الشيخ المذكور لدولة الأمير حفظه الله أمر سليمان باشا باستلامها وقد حضر مع الشيخ حسن المذكور كافة شيوخ عسير وهم (الشيخ عبد العزيز بن محمي والشيخ محمد بن عبده) وهما مشايخ ربيعة من عسير(والشيخ أحمد بن حامد) شيخ قبيلة علكم (والشيخ علي بن معدّي) شيخ قبيلة بني مالك (والشيخ علي بن محمد بن محمود شيخ قبيلة مغيد ورفيده) ورئيس الجميع حسن بن علي المتقدم وجميع هؤلاء القبائل يقال لهم عسير أهل السَّراة والشطر الثاني من عسيرهم رجال ألمع وديارهم تهامة من جهة جبل الحجاز ومشايخهم (الشيخ علي معرافي) والشيخ يحيى محياني والشيخ علي كيبي).

وحضر أيضاً مشايخ بالاحمر ومشايخ بالاسمر ومشايخ قبائل شهران تحت قيادة شيخهم الأكبر (الشيخ عبد العزيز بن

مشيط) وقدم أيضاً جميع مشايخ قحطان لم يتخلف منهم سوى محمد بن دليم العدو الألد.

ولما تكامل جمعهم في سرادق دولة الأمير سألهم عن سبب طاعتهم للإدريسي وخروجهم عن طاعة مولانا أمير المؤمنين ومحاربتهم لرجال الدولة العلية فأجابوه قائلين: إننا لم نطع الإدريسي إلا بعد أن أرسل سعيد باشا لنا ولكافة القبائل أوراقاً مختومة ممضاة منه ومن الإدريسي وفيها نص الاتفاق الذي تمّ بين الإدريسي وبين الوفد المرؤوس للشيخ توفيق الذي حضر من الآستانة لمقابلة الإدريسي وللاتفاق معه على ما فيه الصلاح والظاهر أن الإدريسي خدع سعيد باشا والوفد حتى اعتقدوا فيه الصلاح وأرسلوا لنا ولكافة القبائل هذه الأوامر، وبعد ذلك بزمن قليل أمر جميع قبائل تهامة والحجاز بطاعته وأظهر لهم أنه ساعٍ في إصلاح اليمن فلما تمت له السيطرة كلف أهل الحجاز بإطاعة السيد مصطفى الذي جعله أميراً من قبله على الجبل المذكور وأقام ابن خرشان أميراً على قبائل تهامة وأقام ابن عرار أميراً على قبائل بارق وأقام الفصال أميراً على قبائل المخواه وأصدر أوامره لنا ولكافة القبائل بتسليم الزكاة لهؤلاء الأمراء فأطعناهم لما عندنا من الأوامر من قبل الدولة، وبعد ذلك سولت له نفسه

الخبيثة أن يكون ملكاً مستقلاً على اليمن فأمر عامله مصطفى بحصار أبها ليأخذها وتكون مقرّ ملكه، وقد استمر الحصار عشر أشهر حتى أراد الله إنقاذ أهلها الذين ذهب أغلبهم شهيد ظلم هذا الباغي وإنقاذنا نحن أيضاً منه ومن ظلمه، وذلك بحضورك يا أمير القبلة فإن حضورك هو السبب في إزالة هذه الغشاوة عن أعيننا وها نحن الآن يا دولة الأمير مستعدون لدفع الزكاة فكلفهم بإحضار الزكاة الماضية فأحضروا كافة ما عليهم منها من أموالهم التي كانت أخذها منهم مصطفى عامل الإدريسي مدة أمارته عليهم وصارت الزكاة ترد كل يوم بكثرة من نقود وحبوب وسمن وبقر وغنم وعسل فلم يقبل منهم دولة الأمير سوى الزكاة المفروضة عليهم شرعاً.

وأقمنا بأبها خمسة عشر يوماً أولها يوم السبت التاسع عشر من رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، وكان المطر في هذه المدة لا ينقطع كل يوم من الظهر إلى العشاء. وفي يوم الأحد السابع والعشرين منه أمر دولة الأمير بالاحتفال فيه لأنه يوم المعراج ويوم عيد الحرية والدستور فنصب سرادق عظيم لدولة الأمير أمام دار الحكومة وثكنة العساكر واحتشد الجمع وأطلقت المدافع إجلالاً لهذا اليوم وأدّت العساكر النظامية التحية لجلالة أمير المؤمنين ولدولة

أمير مكة وكان عدد العساكر الذي حضرت الاحتفال ستة عشر طابوراً وركبت العرب وأمراء آل صعود المشهورون (بالعرايف) من أمراء نجد الجياد الصافنات وكان عدد الفرسان الذين أظهروا فروسيتهم أمام سرادق دولة الأمير ثلاثمائة فارس وصارت الفرسان تطلق بنادقها بلا انقطاع حتى سر الجمع سروراً تاماً، وبعد انتهاء الاحتفال قام دولة الأمير في وسط هذا الجمع العظيم ونصح جميع من حضر خصوصاً أهل اليمن بخطبة كان تأثيرها في الجمع أشد من تأثير الكهرباء منها قوله: (أيها الإخوان اعلموا علم اليقين أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالأمة الإسلامية خصوصاً مولانا أمير المؤمنين الحالي لاختطفتكم الدول الأجنبية اختطاف الذئاب للغنم المنفردة فإن جميع الدول ساعية من زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمدية بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدمونها لأغراضهم الشخصية، إخواني هل يرضيكم أفعال هؤلاء القوم الساعين في تخريب بلادكم باسم الحق ولا أدري كيف اغتررتم لهؤلاء وأمثالهم وأنتم أولوا العقول الراجحة والنخوة العربية الأصيلة آباؤكم الأولون كانوا عز العرب وعنهم ورثتم الهمم العالية ألستم أبناء التبابع ألستم الذي قال فيكم جدي رسول الله ﷺ

«العلم يمان والحكمة يمانية» ألستم أنتم أبناء أسلافكم الكرام الذين اشتهروا بالذكاء الفطري والمجد المؤثل فالله الله يا أمناء الأمة العربية في دينكم لا تضيعوه بل احفظوه واستظلوا بظل الراية العثمانية التي هي شعار الإسلام ولا تغتروا بأقوال المفسدين الساعين في تنفيذ أغراض المحركين لهم أعداء الدين الإسلامي وأنتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الأجنبية تظنون أنهم إنما يخدمون الدين مع أنهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون إلا أغراضهم الشخصية مستترين باسم الدين فأحذركم أن لا تغتروا بمثل هؤلاء الأوغاد المارقين من الدين بل كونوا مطيعين لأمير المؤمنين ولتعلموا أن من خالفه قد خالف الله ورسوله ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ وما أن أتم خطبته حتى صاحوا صيحة واحدة زدنا من هذه النصائح المحمدية وأرشدنا إلى الصراط المستقيم يا إمام القبلة، فدعا لهم دولته ودعا لأمير المؤمنين وبعد ذلك أعلن دولة الأمير باختتام الاحتفال، فأطلقت المدافع من القلاع والحصون وصاح القوم قائلين (نصر الله أمير المؤمنين وخذل عدوه الإدريسي وأعوانه المضلّين) ثم انصرف كل منا إلى مكانه المعدّ له في مدينة (أبها).

وهي مدينة عظيمة واقعة في ميدان متّسع مربع الشكل تحيط بها الجبال من جهاتها الأربع كسور لها وفي قمة كل جبل قلاع وعددها جميعها عشرون قلعاً محصنة أحسن تحصين.

(وأبها) محتوية على أربعة قرى منفصلة عن بعضها وأكبر قرية فيها اسمها (مناظر) وبها قصر محمد بن عايض المسمى «شذا» وبها ثكنتان عظيمتان ومستشفى وصيدلية للمرضى مجاناً، وعليها سور من اللبن والقرية الثانية اسمها «مقابل» وبها قصر سليمان باشا متصرف عسير وفيها بستان من أجمل البساتين فيه كافة أنواع الفواكه.

والقرية الثالثة اسمها (الخشعة) والقرية الرابعة اسمها «الْقَرى» والمباني فيها جميعها من طبقتين إلى ثلاث وجميع البناء بشكل عربي شرقي. ووادي أبها من أخصب الأودية كثير المزروعات والبساتين مياهه تسيل على وجه الأرض بكثرتها وهواء البلد عظيم جداً، وإن كان بردها شديداً وكان دخولنا أبها في آخر فصل السرطان وأول فصل الأسد وهذان الفصلان هما أشد الصيف حرارة، ومع ذلك فإن البرد كان بها أقوى من شتاء أرض الحرمين بكثير، أما في فصل الشتاء فإن جميع مائها من أنهار وآبار ومتدفقات يتجمد. وهي عاصمة لواء

عسير ويتبعها ستة أقضية وكل قضاء أو قائم مقامية يتبعه قبائل تؤدي زكاتها إليه، فالقبائل التابعة لمتصرفية أبها قبائل عسير وقحطان وشهران وبالاحمر.

وقام مقامية النماص وهي في جبل الحجاز أيضاً يتبعها من القبائل بني شهر وبني عمرو وبالقرن وبالاسمر وقائم مقامية رغدان وهي بالحجاز أيضاً يتبعها من القبائل غامض وزهران وشمران وبني سليم وقبائل وادي بيشة والأقضية الأربعة الباقية بتهامة وهي قائم مقامية (القنفدة) ويتبعها من القبائل قبيلة بني زيد أهل وادي (قنونة) وقبائل بني شهاب والمشايخ أهل وادي دوقه والأشراف العبادلة وما يتبعهم وقبيلة العجالين القاطنين وادي الأحسبة وقبائل زبيد القاطنين بوادي قرماء وناوان وقبيلة النواشرة وقبيلة المرازيق وقبيلة بني يعلى القاطنين بوادي يبا وقبيلة حرب وقبيلة الغوانمه وقبيلة كنانة وقبيلة بالقرن التهامية وقبيلة آل سليمان وآل عمارة وقبائل بالحارث وقبيلة شمران آل شهاب وآل بحيرى وقبيلة عوامر وبالعريان.

وقبيلة بني سهيم وجميعهم يؤدون زكاتهم إلى قائم مقامية (القنفدة) وقائم مقامية (محايل) ويتبعها من القبائل قبيلة آل موسى. وتميم. وآل ختارش. وآل منجحه. وقبائل قنا. والرايش. وآل مُشوّل. وآل خريب. وقبائل ربيعة وقبيلة

الصوالحة. وآل جبلي. وقائم مقامية (رجال المع) ومركزها (الشعبين) بوادي رجال ويتبعها من القبائل قبيلة ولد أسلم، وقبيلة العوص، وقبيلة بني ظالم وقبائل قيس وبني قطية، وآل صلب، وبعض من قبائل ربيعة إذ ربيعة من أكبر القبائل في اليمن، وقائم مقامية (صبيا) التي كان يقيم بها الإدريسي ويتبعها قبائل الحسينية، وبني تميم والمسارحة، وشعبة، وقبائل وادي الشقيق، وقبائل وادي أبو عريش، وكل هذه القبائل تؤدي زكاتها إلى القائم مقاميات المذكورة.

هذا وفي اليوم الرابع من شهر شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف أمر دولة الأمير بالرحيل فتريضنا الساعة الثانية صباح يوم الأحد الرابع من الشهر المذكور وأمسينا في قرى بني مالك من قبائل عسير وبتنا بها وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الاثنين الخامس منه سرنا حتى وصلنا الساعة السادسة وادياً يقال له (الجنفور) وهو الحد الفاصل بين ديار عسير وشهران، وهو ملك لبني مالك أيضاً فإن قراهم أكثر من عشرين قرية.

وهو واد خصب التربة كثير المياه وأغلب مزروعاته البر والشعير والذرة وفيه من الفواكه التين والعنب والخوخ والمشمش والتفاح وهواؤه معتدل وسرنا بعده إلى الساعة

الثامنة من اليوم المذكور ونزلنا في واد لقبائل شهران يقال له وادي (راشد) وهو المرحلة الثانية من أبها وهذا الوادي متّسع آباره كثيرة غزيرة الماء وفيه من الفواكه أصناف كثيرة يزرع فيه البر والشعير والذرة وهواؤه معتدل يقرب من هواء الطائف بخلاف هواء ديار عسير أهل السرى فإن بردها شديد.

ووادي راشد هذا واقع في الجهة الشرقية من أبها ومنخفض عنها بنحو مائتي متر تقريباً ولما نزلنا في الوادي المذكور حضر بعض قبائل شهران وقدموا الطاعة لدولة الأمير وأتوا معهم بضيافة كبيرة من الغنم وما يتبعها وعاهدوه على أداء الزكاة للدولة في كل عام وأنهم يكونوا خاضعين لجلالة أمير المؤمنين وأظهروا ندمهم التام على الانضمام للإدريسي وأعوانه الشياطين وطلبوا من دولة الأمير العفو عنهم فعفا عنهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق وبقي من شيوخهم ثمانية في خدمة الأمير وانصرف باقيهم راجعاً إلى دياره مع أنهم كانوا يحاربوننا بالأمس فلما عرفوا الحق من الباطل جاؤوا صاغرين مقدمين الطاعة وذلك بحسن نية دولة أمير مكة المكرمة فإنه يخدم الإسلام بنية صادقة وعزم أكيد، ولذلك مكّنه الله من إخضاع قبائل تهامة وعسير حتى أنه أسر قلوبهم ومالوا إليه تمام الميل وعرفوا أنهم كانوا مغلوبين مخدوعين.

وفي صباح يوم الثلاثاء السادس من شعبان نهض الجيش المؤلف من العربان والأشراف فقط وأن العساكر النظامية التي كانت ستة عشر طابوراً بجميع لوازمها الحربية بقيت بأبها. ونزلنا في الساعة السابعة نهاراً في واد يقال له (المسيرق) واسترحنا فيه ساعة ثم نهضنا منه ونزلنا الساعة الحادية عشر في أسفل الوادي المذكور، وهو تمام المرحلة الثالثة من أبها وبتنا هناك ثم سرنا في الساعة الحادية عشر من صباح يوم الأربعاء ومررنا بواد يقال له وادي الأراك وهو واد عظيم به نخيل كثيرة وتحف به من الجانبين غابات الأثل والطرفاء والأراك ولم نزل سائرين في هذا الوادي إلى الساعة الحادية عشر من هذا اليوم ثم أمر دولة الأمير بالمبيت في نهايته وهو تمام المرحلة الرابعة فبتنا وفي صباح يوم الخميس الثامن منه نهضنا وسرنا ساعتين ثم دخلنا وادياً يقال له وادي خضراء بقبائل شهران أيضاً وهو من أكبر الأودية خصب التربة يوجد به النخل بكثرة وشجر الليمون ويزرع فيه البر والشعير والذرة والبرسيم ويسقى زرعه من الآبار فنزلنا هناك وحضر لدولة الأمير في هذا الوادي أربعة من مشايخ شهران المقيمين به ومعهم ضيافة قدموها لدولته ثم التحقوا بالجيش ليكونوا في خدمة دولة الأمير إلى نهاية أرضهم. وفي الساعة السادسة من

اليوم المذكور نهضنا ونزلنا منتهى الساعة الثانية ليلاً في واد يقال له (الفضايا) بقبائل شهران أيضاً وهو تمام المرحلة الخامسة وأهل هذه الديار أعراب يسكنون البيوت الشعر وهم أهل غنم وإبل كثيرة وغنمهم لحمها أحسن وأطيب اللحوم وهي التي ترد بمكة المكرمة بكثرة وبتنا هناك. وفي الساعة الحادية عشر صباح يوم الجمعة التاسع منه نهضنا وسرنا سيراً حثيثاً إلى الساعة السابعة نهاراً ثم نزلنا في المرحلة السادسة بشهران أيضاً ومن هذه المرحلة نهضنا الساعة التاسعة من اليوم المذكور ونزلنا الساعة الخامسة ليلاً للمبيت. وفي آخر الليل نهضنا وسرنا حتى وصلنا وادياً يقال له (بيشة) في الساعة الثانية من صباح يوم السبت العاشر منه وهذا الوادي هو المرحلة السابعة ولما نزلنا بوادي بيشة تقدم جميع مشايخ شهران لوداع دولة الأمير فودعهم وأكرمهم وانصرفوا إلى ديارهم شاكرين فرحين برضاء الأمير عنهم. وكان نزولنا بهذا الوادي بين قرية الروش وقرية نمران ووادي بيشة من أكبر الأودية وأخصبها، إذ الأودية التي تصب مياهها فيه يبلغ عددها خمسة وعشرين وادياً وكلها يأتيها الماء من جبل الحجاز ويزرع في هذا الوادي من الحبوب البر والشعير والذرة ومن الخضر أنواع كثيرة وبه الليمون الحامض والنارنج

بكثرة ولذلك فهو لا يقدر له ثمن عندهم إذ ثمن المائة حبة من الليمون عند شدة غلائه قرش واحد. ولأهل هذا الوادي اعتناء زائد في غرس النخيل حتى بلغ عدد النخيل فيه نصف مليون نخلة من أجود النخيل وأنواع الرطب فيه تزيد عن خمسين نوعاً والبلح عندهم رخيص جداً فالقنطار يساوي خمسة عشر قرشاً وهو أربعون أقة. وحدائق النخيل تحف الوادي من الجانبين وهي متواصلة ببعضها سير يومين بالهجين، أما غابات الأشجار بهذا الوادي فهي كثيرة وعدد قراه ثلاثون قرية وبيوتهم من طبقتين إلى ثلاث وجميعها باللبن وبكل قرية سوق مستمر للبيع والشراء ومن القرى التي مررنا بها منه قرية الروشن وقرية نمران وقرية الثّنْياء وقرية بالشوق وقرية أم الصبح وقرية الدوار وقرية الديلم وقرية النقيع وقرية الحزيراء وقرية الدُّوح وقرية الشقيقة وقرية الجنينة أما القبائل القاطنون بهذا الوادي وما حوله فهي أربعة قبائل قبيلة المحلَفْ وشيخها يحيى بن فائز. وقبيلة اليُكْلُبْ وشيخها (مضف بن عطيّان)، وقبيلة بني سلول وشيخها عامر بن الصعيري والقبيلة الرابعة قبيلة معاوية وشيخها حسين بن الأزهر.

ولما استراح دولة الأمير في سرادقة حضر هؤلاء المشايخ وتحت قيادتهم ألفى فارس وأعلامهم فوق رؤوسهم وكل علم

مكتوب عليه (لا إله إلّا الله محمد رسول الله) فلما قربوا من جيشنا ابتدأوا يطلقون الرصاص من بنادقهم فقابلهم جيشنا بالمثل واختلط الجمع فرحين بالملتقى وصار شعراؤهم يتلون القصائد في مدح دولة الأمير، ثم استقبل دولة الأمير مشايخهم وخلع عليهم الكساوى وقدموا له ضيافة وهي مائة رأس من الغنم وبعد أن حيوا دولته وقبلوا يده الشريفة قالوا له: نحن لم نشعر بالسعادة إلا من وقت مرور دولتكم بأرضنا ونحن أخلص رعية مولانا أمير المؤمنين ونطلب من دولتكم أن تولوا علينا أميراً من طرفكم لجمع زكاة أموالنا فلبى حفظه الله رضاءهم وولى (الشريف عبد الله بن سلطان) العبدلي القاطن بوادي تربة أميراً عليهم ففرحوا به كثيراً وبعد ذاك قام (الشيخ عامر الصعيري) وطلب من دولة الأمير أن يشرّفه بزيارة خصوصية فاعتذر الأمير قائلاً لا يمكنني مفارقة الجيش وأمر نجليه (عبد الله بك وفيصل بك) بالتوجّه لضيافة هذا الشيخ وانتدب بعض الأشراف للذهاب مع نجليه وكان الفقير من جملتهم فتوجهنا حتى وصلنا قرية الروشن ودخلنا دار الضيافة فإذا هي محاطة بحدائق النخيل وشجر الليمون وأكرمنا غاية الإكرام ثم عدنا إلى الجيش وأقمنا مع دولة الأمير في مكاننا ثلاثة أيام. وفي صباح يوم الاثنين الثاني عشر منه حضر ما

ينوف عن ألف نفس من قبائل بيشة ووقفوا أمام سرادق دولة الأمير وصاروا يطلقون بنادقهم ويلعبون ألعاباً خاصة بهم حتى أطربوا الحاضرين وصاروا يتغنون بشعرهم البسيط ولم أفهم من أقوالهم سوى هذه الجمل.

«نحمد الله يوم صار الملك لله ثم للشريف، عوّد ابن إدريس يزبن في جبال الهولْ والهوَلْ، الشريف العبد لي ذبيده يفك ويحبس، حط بن خرشان للدولة غدا والمصطفى مسي، الوحوش والأنبياء وأمة محمد تؤيد ذا الشريف، ذا نظمها دولة من باب صنعا إلى حصاة المقدس» وعند انتهاء احتفالهم كسا دولة الأمير مشايخهم بالعباءات والصمائد القصب والعقُل. ثم تقدم لدولة الأمير مشايخ شهران الذين كانوا بمعيته وطلبوا منه الرخصة بالعودة إلى ديارهم فأذن لهم بذلك وقدم أحدهم لعطوفة عبد الله بك نجل الأمير فرسا من صافنات الجياد وبيتها يقال له (الدهم) وهو أحسن بيت من بيوت الخيل في جزيرة العرب فقبلها عطوفته بشرط قبول الجائزة فامتنع الشيخ وبعد إلحاح شديد قبلها وهي ستمائة ريال فرنسي. ثم أمر دولة الأمير بالرحيل من (الروشن) في الساعة الثامنة مساء يوم الاثنين ثاني عشر شعبان فنهض الجيش وسرنا ونزلنا بعد صلاة المغرب في قرية يقال لها (الدوار) وبتنا بها، وفي الساعة

الحادية عشر صباح الثلاثاء رحلنا وسرنا وحدائق النخل محيطة بنا من كل جانب حتى نزلنا في قرية (النقيع) ثم حضر الشيخ (عَشَقْ) ابن شفلوت شيخ قبائل قحطان أهل نجد وكان قادماً من دياره التي تبعد عن وادي بيشة بخمس مراحل شرقاً لمقابلة دولة الأمير وإخباره بأنه مع كافة قحطان خاضعون لأمير المؤمنين ومستعدون لأداء الزكاة المفروضة عليهم وطلب من دولته الأمان لكافة قبائل قحطان والعفو عما مضى فعفا عنهم الأمير وقال له: إن حصل منكم أقل شيء فلا تلوموا إلا أنفسكم. وقبيلة قحطان من أكبر قبائل العرب وهم عرب رحل يتبعون البارق حيث كان في نجد المتسع. ولما أمنه الأمير دعا له وقبل يديه وعاد إلى أوطانه. وفي الساعة الثامنة مساء يوم الثلاثاء سرنا من (النقيع) ونزلنا عند الغروب في المرحلة الثامنة من أبها في مكان لقبيلة (يكلب) وبتنا هناك وفي الساعة الحادية عشر من يوم الأربعاء الرابع عشر منه نهضنا ونزلنا الساعة الخامسة على آبار في وسط الوادي ماؤها يسيل على وجه الأرض وهو لقبيلة (يكلب) أيضاً في الساعة الثامنة مساء سرنا ونزلنا وقت الغروب في المرحلة التاسعة من أبها وبعد نزولنا أمر دولة الأمير إمامه الرسمي وهو العالم الجليل الشيخ يسين البسيوني المدرّس بالحرم المكّي بقراءة

دعاء النصف من شهر شعبان فقرأناه معه بعد صلاة المغرب وبتنا بتلك الجهة وفي الساعة العاشرة يوم الخميس الخامس عشر من شعبان سرنا ونزلنا في أعلى وادي (رَنْيَهْ) وهو المرحلة العاشرة من أبها وهذه الديار لقبائل (غامد) أهل الشرق وقبيلة غامد متفرقة بعضهم قاطن بهذه الديار والقسم الأعظم منهم قاطن بجبل الحجاز وبعضهم قاطن (بتهامة) في الجهة الغربية من جبل الحجاز. أما وادي رنيه المذكور فإن الجهة التي هي لغامد فيه خالية من النخيل. وفي أسفل الوادي قرى لقبائل سبيع المشهورة بقرى (رنية) وبهذا الوادي ما ينوف عن مائة ألف نخلة وقراه مبنية باللبن من طبقة إلى طبقتين فيها أسواق دائماً. وفي الساعة الثامنة مساء الخميس سرنا ونزلنا الساعة الثالثة بعد المغرب وبعد صلاة صبح يوم الجمعة قمنا وسرنا في حرة سوداء يا لها من حرة. والحرة عبارة عن جبل سطحه معتدل وحجارة الحرة متساوية الحجم ولونها أسود. وفي الساعة الخامسة نزلنا على غدير ماء في واد يقال له (لَرِمَهْ) وهذه الغدران متطاولة في الوادي كثيرة الماء، وهذا الوادي واقع في منتصف الحرة وقِلنا يومنا وبتنا على هذه الغدران واستقينا بأجمعنا من مياهها العذبة وبعد صلاة صبح يوم السبت السابع عشر منه أمر دولة الأمير بالرحيل فرحلنا من

(لَرِمَهْ) ولم نزل سائرين في الحرة السوداء حتى دخلنا وادي يقال له (كرَى) وهو في وسط الحرة، وهذا الوادي كثير المياه وعيونه تجري على وجه الأرض وغدرانه مملوءة بالماء وأشجاره (الاثل والسَّمُر وفيه قصب الحلفاء بكثرة) فقِلنا تحت شجر الاثل بين المياه وتركنا دوابنا ترعى أمامنا في الحلفاء إلى الساعة الثامنة آخر النهار ثم قمنا وتركنا وادي (كرى) يميننا واستلمنا ظهر الحرة ووجهتنا وادي (تُرَبة) ووادي كرى يصب ماؤه في أسفل (تربَة) وما زلنا سائرين في الحرة حتى دخلنا أعلا وادي (تربة) الساعة الثانية ليلة الأحد. وهذه الحرة في غاية الصعوبة وقد سرنا في ظهرها يومين ونحن مجدّون في السير حتى قطعناها فلما وصلنا قرى وادي تربة تركها دولة الأمير وأمر الجيش بالنزول في أعلى الوادي على نهر كبير جاري يصب في أسفل الوادي ومنه تسقى نخيل قرى قبيلة (البُقوم) والأشراف العبادلة وعدد النخيل بهذه القرى أكثر من مائتي ألف نخلة وفيها البساتين محتوية على الموز والليمون والنارنج والعنب وبعض الفواكه ويزرع فيها البر والذرة والشعير وكافة أنواع الخضر ومنظر هذا الوادي من أحسن المناظر وبه كثير من شجر الأثل والطرفاء والحمض والحلفاء، وفي الساعة الثالثة صباح يوم الأحد حضرت قبائل البقوم تحت

قيادة شيخهم (مناحي بن جرشان) وصاروا يضربون البنادق أمام دولة الأمير ويترنمون بأشعارهم العربية فرحين بدخوله ديارهم وقدموا لدولته ضيافة عظيمة فقبلها منهم وحياهم وكسا شيوخهم وخلع على شعرائهم وسأذكر بعض كلمات لبعض شعرائهم وهي:

مصطّفى علمه تفشول وضاع   جاه صقر ضاري بالفرايس

ما لقي العطار من ينصحه

العسيري عاف منه وطاع   حط أبو فيصل عليهم دوايس

ذا منيع وواحد يذبحوا

ولفظة عطار المذكورة في الشعر المقصود بها هو مصطفى عامل الإدريسي والأمير من قِبله على كافة جبل الحجاز فإنه كان عطاراً في قرية (قنا) من أعمال (محايل) والمراد بالعسيري هو الشيخ حسن بن علي بن عايض أكبر أعوان الإدريسي وتحت سلطته كافة قبائل الحجاز، وهو الذي عند دخولنا أبها طلب من دولة الأمير الأمان بعد أن رفض طاعة الإدريسي قد عيّنه أمير مكة في أبها مساعداً للمتصرف ورتب له خمساً وعشرين جنيهاً شهرياً، وصار من أعظم أعداء الإدريسي ومن أخلص المخلصين للدولة، وهذا كله من حسن تدبير دولة الأمير أدام الله لنا وجوده وأبقاه ناصراً للإسلام والمسلمين. وفي يوم الأحد الثامن عشر قمنا من وادي تربة

الذي هو المرحلة الثالثة عشر من أبها قاصدين (واد الْخُمْرَه) وبينما نحن سائرون إذ رأينا جبل (حَضَنْ) المشهور في التواريخ العربية وهو يبعد عن الطريق العمومي من جهة اليمين بستة آلاف متر تقريباً ومساحة هذا الجبل من الشرق إلى الغرب عشرة كيلومتر ومن الشمال إلى الجنوب 15 كيلومتر وفي سطحه مياه كثيرة وأشجار عظيمة وهي ملك لقبائل (البُقُومْ) وعندما تشب الحرب بينهم وبين قبائل عتيبة (أو سبيع) (أو بني الحارس) يقيمون بهذا الجبل لأنه حصين ويتركون إبلهم ومواشيهم ترعى في سطحه حتى تنتهي الحرب وهو بمثابة حصن لهم. وفي الجهة الغربية من الجبل أربعة جبال على خط واحد وعلى أبعاد متساوية من بعضها وترى من بعد كاهرام مصر والأخير منها يسمى جبل (ساق) وهو الحد الفاصل بين ديار قبائل البقوم وديار قبائل بني الحارث. ووادي (الْخُمْرَةَ) واقع غرب جبل ساق وهو تمام المرحلة الرابعة عشر. وفي الساعة الحادية عشر مساء الأحد مررنا بجبال يقال لها (الغربان والعقيلات). وجبل العقيلات ملجأ للصقور بكثرة ولا تبيض وتربى أفراخها إلّا هناك ولشهرة طيور هذه الجبال بالقنصة وافتراس الصيد يتوجّه بعض العرب الذين لهم شغف بالصيد إلى هذه الجبال ويأخذون بعض أفراخها الصغار ويربونها عندهم ليصطادوا بها. وهذه الجبال هي الحد

الفاصل بين قبائل (ابن الحارث) وقبائل (عتيبة) وبعد ما تركنا جبال الغربان دخلنا وادي يقال له (وادي النيرْ) فأمر دولة الأمير بالنزول على آبار هناك للإرتواء منها فوجدنا الآبار خالية ما عدا واحدة ارتوى بعض القوم منها. وفي الساعة الثالثة ليلاً سرنا حتى نزلنا على طرف (وادي كلاخ). وفي الساعة الحادية عشر صباح الاثنين التاسع عشر منه سرنا حتى دخلنا وادي كلاخ الساعة الواحدة وهو المرحلة الخامسة عشر من أبها ويزرع في هذا الوادي البر والشعير وفيه كثير من بساتين الفواكه وحدائق النخيل وتشرب مزروعاته من الآبار.

وفي الساعة الثامنة نهاراً قدم علينا من مكة بقية أنجال دولة الأمير وهم عطوفتلو علي بك وكيل دولة الأمير بمكة وزيد بك ومعهم عبد الله باشا حفيد المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقاً والشريف زامل بك والشريف جعفر بك أنجال عطوفة ناصر بك شقيق دولة الأمير وفي معينهم من الفرسان وأرباب الهجان ما يزيد عن الثلاثمائة والكل قادمون لمقابلة دولة الأمير فرحين مهنئين لنا بقدومه السعيد وانتصاره على الشقي العنيد، وحضر كذلك أهل وادي كلاخ وصاروا يطلقون بنادقهم أمام سرادق دولة الأمير وهم قبيلة يقال لها (النفعة) من قبائل عتيبة وقدموا ضيافة لدولة سيدنا. وفي الساعة الثامنة سرنا ونزلنا الساعة الواحدة ليلة الثلاثاء في

محل يقال له (شُرُس) وبتنا هناك وقِلنا في مكاننا هذا المسمى بوادي (ليّه) هو واد كبير يزرع فيه من الفواكه العنب والخوخ والمشمش والكمثرى والتفاح والتين والسفرجل والتوت والرمان الذي لم يوجد له نظير في سائر الأقطار ويضرب به المثل برمان الطائف وأثمان الفواكه فيه رخيصة جداً ويزرع فيه أيضاً البر والشعير والبرسيم والذرة وتسقى مزروعاته من الآبار وفي هذا الوادي عين جارية حفرها الشريف حمزة الفعر العبدلي ولكنها تارة تسيل وتارة يمتنع سيلها إذا كفّ جريان السيل عن الوادي، وذلك لعدم تمام عمارتها إلى النهاية. ثم قمنا من شرس ونزلنا في محل يقال له (نَخِبْ) لقبيلة (وقدان) واسمه الحقيقي (وادي النمل) الذي ذكره الله بقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ... ﴿١٨﴾﴾ وفي صباح يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان قمنا من هذا الوادي وسرنا حتى إذا كان بيننا وبين الطائف سير ساعتين ونصف وجدنا حضرة الوالي (حازم بك) والقومندان (منير باشا) وفضيلة قاضي مكة المشرفة ومدير الحرم المكي والدفتدار وجميع هيئة الحكومة وجميع العساكر النظامية قد أتوا لمقابلة صاحب الدولة والسيادة أمير مكة المكرمة وكان الوالي ومجلس البلدية قد أعدّ سرداقاً من أفخر ما يكون لاستراحة دولة الأمير عند قدومه عليهم وخرج جميع أهالي الطائف وأهالي مكة

والأجانب من جميع الأمم الإسلامية حتى صار عدد القادمين يزيد عن عشرين ألف نفس وعلامات السرور بادية على وجوههم والكل فرحون بقدوم دولة الأمير وبعد أن استراح دولته في السرادق المعد له وتناول المرطبات قام ومن معه من الجيوش والعساكر النظامية والأهالي حتى امتلأ بهم السهل والجبل قاصدين السرادق الرسمي الذي أعدّه لدولته عطوفة نجله علي بك خارج البلد (الطائف) مسافة 15 دقيقة وحينما وصل دولة الأمير أسطف أمام السرادق أربع فرق من العساكر النظامية كل فرقة ثمانمائة جندي ولما استقرّ دولته لسرادقه الخاص قدم الناس عليه مهنئين له بالنصر المبين على الإدريسي وقومه الأشقياء المارقين. في هذا الوقت أطلقت المدافع وعُزفت الموسيقى وركبت الأشراف على الخيل وصارت تتسابق عليها بين السرادق والبلد، وكان الاحتفال احتفالاً باهراً لم أر مثله ودام ثلاث ساعات والكل يدعو لمولانا أمير المؤمنين وحامي حمى الدين ولدولة أمير مكة بدوام السعد والإقبال وكان من جملة المهنئين حضرات العلماء الأعلام تلا بعضهم قصائد لتهنئة دولته بالقدوم، فمن ذلك ما تلاه حضرة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد النجار المدرس بالطائف بمسجد سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:

وفود التهاني بالإياب وبالنصر أتت تجتلي كأس السرور مع البشر
وأمست لدى كل القلوب مسرة فكل بفضل الله منشرح الصدر
فكيف وقد لاحت بأفق ربوعنا شوارق أنوار المليك بلا نكر
سليل العلى روح الكمالات ذو التقى حسين أخو الإحسان والحلم والبر
قدوم غدا عيداً سعيداً مباركاً ويوم لدى الأيام كالكوكب الدري
ونحمد من أجرى الأمور بلطفه على خير ما نرجو ونتبع بالشكر
فأهلاً بخير الأكرمين ومن غدا على هامة العلياء منفرد الذكر
بحلم وعلم بل بعزم وهمة عظيمين كالسيف الصقيل أو الدهر
نهنيك بالفتح المبين لبلدة لقد كاد أهلوها يموتون بالحصى
فأنقذتهم منه وكنت غياثهم فهنيت بالقدر الجزيل من الأجر
فأبهى بكم زانت وعاد بهاؤها وأصبح في أرجائها يهتف القمرى
عسير بكم قد يسر الله أمرها فأبدل ما فيها من العسر باليسر
فلا زلت غوثاً للأنام جميعهم تخلصهم مما يفاجئ من ضر
سطوت على الأعداء تقدم فتية لدى الحرب أسد في النزال وفي الكر
أخو المجد عبد لله منهم وفيصل أباد رقاب القوم بالبيض والسمر
هما في ظلام الحرب نور إضاءة بهم يهتدي الجيش العرمرم إذ يسري
ومنهم ليوث الحرب من آل محسن سلالة أمجاد جحاجحة غر
كأن المنايا في بطوْن سلاحهم لدي النقع والرايات مقرونة النصر
فيا ابن علي أنت مصباح عصرنا تزول به عنا الحنادس إذ تجري

ويا ابن رسول الله لا زلت كوكباً تضيء بك الدنيا لدى غسق الدهر
فـأيـامـنـا غـر بـأنـوار عـدلـكـم كذاك رياض الليل طيبة النشر
فسبحان من أنشأك نوراً تركبت عناصرك اللاتي تفوق على الزهر
من اللطف والإحسان والحلم والتقى سوى ذاك مما لا يحيط بها حصري
إليك مليك الناس بكرا زففتها لتقبيل أقدام يكون بها فخري
قصيرة باع في المديح وكيف لا ويعجز في التيار مستخرج الدر
تـعـبـر عـن ودي وإنـي مـخـلـص لدولتكم في اليسر دوماً وفي الجهر
كما كان أصلي قبل ذلك مخلص ومحسوب علياكم وسيدنا يدري
فلا زلت في أوج السعادة راقياً ويصحبك التوفيق في النهي والأمر
وأسأل رب الناس يسعد حظهم بطول بقاكم في سرور وفي نصر

وكان معنا في هذه الغزوة قاضي الطائف قاضياً للجيش الشيخ الفاضل العالم الجليل عبد الله كمال من علماء الطائف فنظم ملخصي الوقايع التي ذكرناها آنفاً بقصيدته الغراء وهي هذه:

هذا هو الفتح أم نصر من الباري وافـى لـسـيـدنـا أم سـتـر سـتـار
أم هذه الغاية القصوى ظفرت بها مـا نـالـهـا مـلـكٌ يـغـزو بـجـرار
مهدت بالعدل أقطار الحِجاز فيا بشري لسكان بيت الله والجار
الأمن ساد بها والخلق رافلة في ظل رأفتكم من حادث طاري
تبنى المعالي على المجد الأثيل كما بـنـاه سـالـف سـادات وأبـرار

ألقت إليك زمام الأمر دولتنا   في فك أبها وإصلاح الأقطار
شمرت عن ساعد العليا وقمت بها   يا حبذا القوس قد سبقت إلى الباري
جبت المفاوز في سهل وفي حزن   جُزت الطريق كما يسري به الضاري
ومن تصدى لكم ذاق الهوان فكم   من وقعة بعدها جاؤوا بأعذار
نظمت بعض شهير من وقائها   خوف الإطالة أو تشتيت أفكار
فأهل حَلى وأهل القوز ما اتعظوا   بالنصح شهراً ولم يصغوا التذكار
ضلوا سبيل الهدى والرشد واتبعوا   رأي ابن خرشان تمويهاً بأسرار
حلّت جموعهم بالقوز واعتصبت   فتيان بغي وجهال وأشرار
جهزت جيشاً وعبد الله يقدمه   وفيصل مع بني الزهراء أطهار
وعسكر في طوابير مظفرة   وكل قرن من الفرسان كرار
فأنشبت الحرب في عجلان بينهم   قبل الغروب إلى تنسيم أسحار
وأصبح النصر مقروناً بجيشكم   على البغاة فولوهم الأدبار
فكم قتيل وكم جرحى وكم أسروا   بعد الفرار فلا يأوون في دار
حتى لووا طالبين الأمن وامتثلوا   أمر الخليفة في جهر وإسرار
وابن عراز مع الفصال قد جمعا   من بارق في الحجايا كل ختار
ففل جندكم المنصور شوكتهم   حتى الرؤوس أتت من قطع بتار
عادوا إليها عواناً بالسهول ضحى   يوم الخميس وراموا الأخذ بالثار
وكم جموع أعدوا في مضائقها   واشتدّ فيها سعير الحرب كالنار
فظفر الله أهل الحق وانهزموا   كالشات قد أفلتت من كف جزار

والقوم تقتلهم طوراً وتأسرهم والخيل تتبعهم آخذاً بآثار
وفي تنومة جاؤوا بالجموع على محمد ابن دليم يوم هدّار
يوماً به قامت الهيجا على قدم وبادروا نحوها من بعد أسفار
فكم رؤوس أتت من بعد ما انهزموا عنها فراراً وهم بالذل والعار
ويوم عمق لقد طال القتال به حتى إلى صبح جاؤوا بأغمار
فخيب الله كيد المفسدين وما قد صنعوا من أباطيل وأعذار
ومصطفى من رأى أحزابهم هزمت والحق أظهره المولى بأنصار
رام الدفاع عن الحصر الزعيم به وما به عقدوا من سوء إضمار
فرتب الجمع والإعلام بالدرج وحزّب القوم من نجد وأغوار
وقابلتهمْ جنود طال ما هزمتْ من قبلهم كل ذي بغي وأضرَار
وكان يوماً عصيباً والوطيس حمى حتى الرصاص حكا وبلاً لأمطار
والطوبُ دمَّر رايات لهم نصبت والجند أنزلهم من روسْ أوْعار
حتى تولوا وقتلاهم مجدّلة نحو الثمانين أو زادوا بمقدار
ففرّ عنها زعيمُ الحصرِ وانقطعَتْ آمالُ شيطانِه مِنْ كلّ ديارِ
ألقى العصا بينهمْ مُوسى ففرّقَهمْ وأبطل الباطل المبني على هار
قد حصحص الحق والأهام زاهقة والعميُ من بعدها عادوا بأبصار
لا تضمرن يا ابن إدريس لدولتنا مكراً فتُوْرِثُها أهوال أخطارِ
اسلكْ مسالكَ أجداد لكم سلَفوا بالصالحاتِ على علم وأذكارِ
يا سيد الحرم المكي وجيرَتِهِ يا غُرّة الدَّهر يا مصباح أنوارِ

دانَتْ إليْكَ رقابُ الخلق خاضعةً — من هيبة السيف لا مِنْ سحر سحّار
نجيتَ أبها من الحصُرِ المحيطَ بها — ونلتَ رَحمتُها في مَنعِ أعمار
كم أرْصدُ وافي عقاب منهمُ زُمراً — ما ذَنْبُ سُكانِها ما ذَنبُ أحجار
عند الإِياب أتَتْ بشرَى تُبشرُنا — سر الجميع بذاك الخط والقاري
مدحتكم بقريض عن مشاهدة — كل الوقائع لا ظنّ وأخبار
والنظم يقصر عن أوصاف دولتكم — من حاضر كيف في شعثاءِ أسفار
لا زلت ترقى إلى العلياء منزلة — ما دام ليل الدجى يزهو بأقمار
وختمها قد بدا تاريخهُ وَجلا — الله يستركم عن سوء أقدار

وهذه قصيدة العالم الجليل المدرس بالحرم المكي المشرف الشيخ علي شقيق الشيخ عابد مفتي الموالك:

العيد هنئ إذ نلت الهنا أبداً — بفوز فتحك أبها في كمال هدى
والدين عوفي إذ عوفيت في شرف — والمجد يبقى كما تبقى له سندا
أحييت سنة طه إذ أقمت لنا — فرض الجهاد لتهدي كل من مردا
جبت البلاد تقيم الامن مبتغيا — وجه الإله فنلت الفوز والرشدا
خفضت كل مقام بالإضافة إذ — نوديت من بين أهل العزم منفردا
فقمت بالعزم في سهل وفي جبل — وجزت بالأسد تصمى كل من عندا
تحيي مآثر أسلاف محمدها — قد صحّ عن مالك عن نافع سندا
حسين فعلك سعد الدين يشرحه — كشاف آياته في العالمين بدا
أبدت سراياك أسد الغاب يقدمها — في الفوز فيصل عبد الله ما شهدا

بحليهم جندكم حلاّهمو ظفرُ وذاق أعوان إدريس كؤوس ردا
تنومه أعلنت منشور نصركم على البغاة فعادوا طالبين هدى
في العمق حلت جموع القول وانخذلت من بعد ما قابلت جيشاً بكم سعدا
لما علوت بجيش النصر في درج مزقت شمل جنود البغي مجتهدا
ونكست لهم الأعلام وانهزموا وانجاب عن صبح أبهاليل من فسدا
رؤوس جمع الفدا آيات نصركم تبدي لمن رام عن إعجازها رشدا
لو تنطق الخيل يوما بالذي شهدت من معجزات لأبدت عنك ما وردا
فليسأل ابن دليم بعد أحمد والـ ـفصال وابن عرار ما بهم نفدا
وليسألن مصطفى ما الحال في درج يحكيه والفضل ما يبديه قول عدا
هم قوم إبليس لا إدريس شيخهم أموا الضلال فنالوا الخزي والنلدا
يا حبذا العيد عيد الفوز فوزكم وعيد صومك في يمن الهنا يهدى
عيدان قد أشرقا في يمن سلطنته قد مهدت من رشاد للهنا مهدا
فيا حسين المعالي بر صومكم وأنت أفضل من في صومه حمدا
أنعم هناء بعيد الفطر لا برحت تحلو بكم غرة الوقت الذي سعدا
أبديت ذا اليوم عز الملك معتليا بجحفلٍ نجبٍ يعلى منار هدا
خلنا به عدد الأعلام سائرةً تُقلُّ أعلام نصر الدين والأسدا
فالخيل تصهل والفرسان داعية والبيض تزهر إذ برق السلاح بدَا
والأرض خاشعة والشمس مشرقة طوراً وتُستر إذ ما عثير صعدا
حتى جلى صبحكم لما زهى غسقا من العجاج الذي قد ثار منعقدا

لا زلت تشكر في كل البلاد على   مكارم وتقى في سطوة وندا
ترجى مواهبكم تخشى صوائبكم   كالدهر في سلمه مع حرب من وجدا
عمت مراحمكم تحيي الهدى أبدا   تمت صواعقكم تردي الضلال ردا
ودمت في ترف تمتاز في شرف   تعز أهل هدى تذل من مردا
تنيل من قصد الإحسان خير ندا   وراحما أبدا من لاذا منتجدا
ما قال نجل حسين غرس جدكمو   على إحسانكم المالكي سعدا
محمود نصر سعد الدين أرخه   أن تنصروا الله ينصركم أهيل هدى

سنة 1329 51 746 66 410 46 10

ودخلنا الطائف يوم الخميس الثاني والعشرين من شعبان سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف وأقمنا بها إلى اليوم الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ثم قمنا يوم الأربعاء الساعة التاسعة نهاراً وسرنا قاصدين مكة ومررنا على وادي المحرم الساعة الحادية عشر وهو أحد المواقيت للحرم المكي من جهة الحجاز وهو واد كبير خصب التربة تزرع فيه جميع الفواكه من عنب ورمان وتفاح وسفرجل وكمثرى وغيرها ويزرع فيه أيضاً البر والشعير وغيرهما من أصناف الحبوب وبه آبار كثيرة، وفي الساعة الثانية عشر دخلنا وادي (الهدا) وهو واد كبير يزرع فيه كافة الفواكه وهواؤه جيد قلّ أن يوجد مثله، وهو يرتفع عن سطح البحر بألفين ومائتين وخمسين متراً،

وعن الطائف بمائة وخمسين متراً تقريباً وبتنا فيه في نزل لأحد الأتراك. وبعد صلاة الصبح قمنا من (الهدا) وأخذنا في الهبوط من جبل (كرا) ولم نزل في هبوط إلى الساعة الثانية والنصف صباح يوم الخميس، ثم نزلنا أسفل الجبل في قرية يقال لها (الكُرّ) وقِلنا فيها إلى الساعة الثامنة مساء ثم نهضنا قاصدين مكة المكرمة فوصلنا قهاوى في محل يقال له (شداد) الساعة العاشرة ونزلنا فيها للاستراحة ثم قمنا بعد ساعة متوجهين إلى (عرفة) فوصلناها الساعة الثانية عشر ليلة الجمعة بتنا فيها. وفي عرفة بئر مطوية ظاهرة على وجه الأرض منشؤها (عين زبيدة) ينتفع بها كل مار وعابر سبيل ويردها البوادي القاطنون بوادي عمان وعرفة من قريش وهذيل وخلافهم والفضل في هذا لمنشأة تلك العين وهي السيدة زبيدة وكذلك حضرة الشيخ وحدان الهندي الذي أدخل عين زبيدة في كل حارة من مكة ليستقي منها أهلها بلا مقابل، وعين زبيدة المذكورة هي حياة أهل مكة وحجاج بيت الله الحرام، ولذلك فإن دولة سيادة مولانا الشريف حسين باشا أمير مكة مهتم بالمحافظة على إصلاحها وبقائها جداً ففي العام الماضي الذي هو سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف حصل مطر غزير وأتت سيول عظيمة أتلفت عين زبيدة من أعلى عرفة وهدمت

خمساً وثلاثين خرزة حتى سدّت مجرى الماء وتراكمت البطاحي في مجاري الماء حتى أوقفت سيره وانقطع الماء عن مكة، فلما رأى دولة الأمير ذلك شمّر عن ساعد الجد وتوجّه بنفسه إلى الأماكن التي تلفت وكان معه من العمال أزيد من خمسمائة عامل وباشر العمل بنفسه ونصب الخيام هناك وأقام حفظه الله شهراً ونصفاً وكنت بمعيته في هذه المدة ولم يقم من مكانه حتى تم العمل من بناء وتطهير مجرى الماء حتى رجع إلى حالته الأصلية وزيادة، وكان أهل مكة وقت انقطاع هذا الماء عنهم في غم وحزن شديدين لأنهم كانوا يشربون من الآبار المالحة فلما رجع الماء بهمة وعناية دولة الأمير صار أهل مكة وما جاورها يدعون له ليلاً ونهاراً فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خيراً.

وفي الساعة الثامنة ليلاً قمنا من عرفة قاصدين مكة فدخلناها الساعة الحادية عشر صباح يوم الجمعة السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

حالة الإدريسي

بعد رجوع دولة امير مكة من محاربته

لما تم ترتيب أبها من نحو عمال الإدارة والنظام واستتب الأمن والراحة وأمنت الطرق وسارت القوافل تذهب وتعود بين القنفدة وأبها آمنة مطمئنة وتخلّصت العالم من شر الإدريسي وأعوانه توجّه دولة أمير مكة المشرفة بمن في مغاير استحكاماتهم التي شيدوها على شاطئ البحر تحت مرمى قذائف أساطيلهم وعلى الباغي تدور الدوائر، فعندما يئست دولة القرصان من امتلاك ولاية طرابلس وبرقة حولت نظرها إلى البحر الأحمر وحاصرت ولاية اليمن لأنها مقر الساعد الأيمن للإدريسي المارق عن الدين وعن خطة أسلافه الصالحين وضربت بمدافعها أغلب أساكل اليمن ومن ضمنهم الشيخ سعيد الواقع في باب المندب وهناك قلاع للدولة في فم البغاز ولما ضرب الطليان الشيخ سعيد جاوبتها قلاع باب المندب بالمثل

وأغرقت لها سبعة وابورات فولى باقي أسطول إيطاليا هارباً من تلك الضربة واقتصروا على محاصرة مرافئ اليمن ومن ضمنها أسكلة جيزان التابعة لقائمقامية صبيا فلما وصل الخبر للإدريسي بجبل فيفاء نزل إلى صبيا مقره الأصلي وخابر أصدقائه الطليان أنه مستعد لمساعدتهم على حسب الاتفاق المبرم بينهم بمصر يوم كان مقيما بها فأنزلت له المدافع والبنادق الميزر والرصاص والذخائر كما طلب وأعطته جنداً لضرب المدافع وأنزلتهم بعد أن تزيوا بأزياء عربية فامتلأ قلبه فرحاً ورقص فؤاده طرباً لاعتقاده بأنها فرصة سنحت له وهو لا يدري أن الدولة العلية ورجالها المخلصين والأمة العربية ناظرون له بعين يقظة وقلب لا ينام ونخص بالذكر دولة أمير مكة المكرمة فقد ثبت له الآن ثبوتاً قاطعاً لا جدال فيه بأن الإدريسي متفق مع دولة الطليان بعد ما حاصرت سواحل اليمن وكانت المفاوضة بينه وبين أعدائنا بواسطة سماسرة السوء وأعداء الله والدين والوطن على تنفيذ أغراضهم بولاية اليمن وتعهد لهم الإدريسي بالزود والمساعدة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ أما السلاح والذخائر التي أرسلتها إيطاليا له فإنها أنزلت بين جيزان والبرك لترسل إليه فلما بلغ الشريف شنبر مأمور القنفدة من طرف صاحب الدولة والسيادة أمير مكة المكرمة والشريف

أحمد بن حسين المنديلي في قوز أبو العير هذا الخبر توافدت عليهما قبائل الجبال والسهل وطلبت منهما قطع دابر الإدريسي صوناً لسفك دماء المسلمين، لأنه اتفق مع الأعداء فأمر الشريف شنبر القبائل بأن تتربص للسلاح المرسل إلى الإدريسي فتعهدت القبائل بذلك وكمنت في كل طريق ومنفذ إلى أن تمكنت من ضبط بعض سلاح الطليان، وجاءت به إلي الشريف شنبر فأرسله إلى محمد علي باشا قائد القوة العثمانية في قائمقامية محايل، أما القوات العثمانية المرابطة في تلك الجهات فهي ستة عشر طابور في محائل وثلاثة طوابير في قوز أبو العير وفي بندر قائمقامية القنفدة ثلاثة طوابير وفي أبها عاصمة لواء عسير بقيادة سليمان باشا الأسد الضرغام عشرة طوابير، فلما بلغ الإدريسي خبر استيلاء العرب على السلاح والذخائر اشتد غضبه وحنقه فاستنجد بقبائل جبل فيفاء والحسيني وصبيا وأفهمهم أن الترك يأخذون الهدايا التي يرسلها إليه السيد أحمد السنوسي مع أن أستاذنا العظيم يبرأ إلى اليوم من موالاة أعداء الله ورسوله الكفرة وأعوانهم الخونة وأفعاله في ولاية طرابلس ودفاعه عن بيضة الإسلام وموالاته للدولة العلية دولة الإسلام أشهر من نار على علم، فاغترّت تلك القبائل بقوله وتجرّد منها خمسمائة رجل بقيادة مصطفى الذي

كان محاصر ابها وفرّ منها عند وصول دولة أمير مكة إليها وكمنوا للقافلة الذاهبة من القنفدة إلى أبها فصادفوا أربعمائة جمل تحمل مؤن وذخائر فأخذوها فوصل الخبر إلى الشريف شنبر والشريف أحمد بن الحسين المنديلي فقاما بمن معهما من الرجال واقتفيا أثر رجال الإدريسي إلى أن لحقوا بهم بوادي الشقيق فالتحم القتال وكان قومنا نحو ألف نفر فدارت الدائرة على الأعداء وانهزموا تاركين على الحضيض خمسة عشر قتيل وستة أسرى فعادت القبائل بالقافلة والأسرى ولم يفقد منهم بعناية الله أحد وسلم الشريف شنبر القافلة بأكملها لمحمد علي باشا الذي سيّرها إلى أبها ومن ذكر أن القبائل التي كانت بالأمس مع الإدريسي هي التي خلّصت القافلة من يده عرف مقدار تغير الحالة والسبب في هذا الانقلاب هو صاحب الهمة العظيمة والغيرة الإسلامية للدولة والدين نسل النبي العدنان دولة الشريف أمير مكة المكرمة حفظه الله بعنايته ونفعنا الله بأعماله الجليلة آمين، أما أعمال الإدريسي فقد قضت على دولة أمير مكة وعلى الإمام يحيى وعلى الدولة تجريد القوات من كل جانب فقام من مكة المكرمة نجل دولة سيدنا عطوفة فيصل بك ومعه ستة طوابير من الجيش النظامي و1500 وألف وخمسمائة من العرب و200 ومائتان من عسكر بيشة الجندرمة من وادي

بيشة شرقي الطايف و200 ومائتان من عسكر عقيل الجندرمة بالمدينة المنورة وهم من عربان القصيم بنجد وكان في انتظاره أثناء الطريق المتطوعون من عربان اليمن وأشراف ذوي حسن والشريف شنبر ومعه عربان القنفدة المعسكرين في قوز أبو العير ومحمد علي باشا من محايل ومعه قوة نظامية وعربان متطوعين وقام سعيد باشا من الجنوب ومعه قوة نظامية وقام سليمان باشا من أبها ومعه خمسة طوابير وعربان من عسير بقيادة الشيخ حسن بن علي بن محمد بن عايض وهو معاون بمتصرفية أبها وظّفه بها دولة أمير مكة والذي علمناه عن الإمام السيد يحيى إمام اليمن أنه جهز قوة عظيمة من قومه من صعداء الواقعة جنوب أبها ووجهة الجميع صبيا وجبل فيفاء لاستئصال جَرْثُومَةُ الشر والفساد وعندما وصل الشريف فيصل بك بقوته في وادي دوقة رست سفن إيطالية حربية في مياه القنفدة ولما أبصرها الجنود والعرب المطوعون احتاطوا للأمر وأعدّوا لذلك عدّتهم فنقلوا المدافع التي في هذا الثغر إلى مكان يطل عليهم وجعل الإيطاليون في اليوم الثاني يطلقون القنابل على حصون المدينة والثكنة العسكرية ثم على المدينة كلها وتم الاتفاق في اليوم الثالث بين عسكر الإيطاليين الذين في مدرعاتهم وبين رجال الإدريسي على الهجوم دفعة واحدة، أما رجال الإدريسي فإنهم

هجموا على المدينة، وأما الجيش الإيطالي صار يتأهب للنزول إلى البر واندفعوا رجال الإدريسي في المنحدرات اندفاع السيل حتى صاروا على بعد 700 سبعمائة متر من استحكاماتنا، وكان الملازم الثاني حسن نوري أفندي يقود الجنود النظامية بالقنفدة فأمر الطوبجية وأطلقت مدافعها على الجناح الأيسر من المهاجمين وأمر المشاة فزحفت على جناحهم الأيسر ودام القتال 6 ستة ساعات، وفي هذا الوقت وصل فيصل بك إلى المعركة فزحف على جناحهم الأيمن ولم تكن إلّا بضع ساعات حتى تمزق شمل المهاجمين وقتل منهم كثيرون وولى الباقين مدبرين وجعلت مدرعات الإيطاليين تطلق قنابلها على الطوبجية العثمانية لتعطل بطارياتهم ولكن العثمانيين المظفرين كانوا قد حكموا وضع مدافعهم في مكان حصن الطبيعة فلم يصبها الإيطاليون بأذى وكأني بالإيطاليين ظنوا أن مدافعنا موضوعة في الأماكن التي تنفجر فيها قنابل بطارياتنا فكانوا يطلقون قنابلهم حيث يحصل الانفجار فأعانونا بذلك على الإيقاع برجال الإدريسي الخائن لأن قنابلنا وقنابلهم كانت تصيب هدفاً واحداً والذي قتل من رجالنا عشرة عساكر نظامية ومن العرب اثني عشر شخصاً وظلت هذه المعركة مستمرة 10 عشر ساعات في أماكن مختلفة، وكان الأعداء استهانوا في بادئ الأمر بقوتنا

ولا سيما لما علموا أنها منحصرة في مكان واحد، ولكنهم لما ذاقوا الموت ألواناً من رصاص الجنود النظامية ومجاهدي العرب، أركنوا إلى الفرار تاركين ثلاثمائة قتيلاً في ميدان القتال ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ أما الأسطول الطلياني فأخذ يضرب القنفدة ثلاث أيام، فالثكنة العسكرية ومحل الجمرك وبعض أكواخ من جريد النخل والقش لا يوازي عشراً من مئآت القنابل التي قذفت أما أهل البلد فإنهم خرجوا منها قبل حصول الضرب وانضموا إلى المجاهدين ونقلوا أمتعتهم إلى قرى قبيلة بني زيد بوادي قنونه والذي استشهد من العجزة والشيوخ والأطفال لا يزيد عن15 خمسة عشر. ولما وصل الخبر لدولة أمير مكة حفظه الله بما حصل من انتصار المسلمين وانهزام النصارى وأعوانهم المنافقين استلحق أعيان أهل مكة في الحال وخبرهم بما حصل لأهل القنفدة وطلب منهم المساعدة لإخوانهم المسلمين وابتدأ دولته بدفع مبلغ في الاكتتاب وفي ثاني يوم جمعت من مكة 700 سبعمائة جنيه ومن جدة 300 ثلاثمائة جنيه وأرسل المبلغ فوراً للقنفدة والاكتتاب سائر إلى وقت كتابة هذا، ثم قام عطوفة فيصل بك بجيشه الجرار قاصداً قوز أبو العير جنوب القنفدة فلما وصله وعسكر فيه أرسل لقبائل حلى يدعوهم للحضور حتى يعلم الطائع من العاصي فحضر

أغلب قبائل حلى ما عدا قبيلة الشيخ ابن الصغير الناكث لعهود الله الذي كان مطيعاً لدولة أمير مكة في العام الماضي، فلما تحقق عصيانه الشريف فيصل ومن معه من قواد العسكر النظامية نهضوا من قوز أبو العير ووجهتهم حلى فوصلوها قاصدين قرى العصاة في اليوم التاسع عشر من جمادى الأول سنة 1330 ثلاثين وثلاثمائة وألف وصار القتال وبعد ساعة انكسر العصاة عن اثني عشر قتيلاً خلاف الجرحى وأسروا أحد شيوخهم حامل راية الإدريسي فوجد مكتوباً عليها ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ وفي طرفها علامات تابعية إيطاليا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وانبث المجاهدون في قراهم وغنَّموها وأحرقوا قراهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وبعد أن استولوا على القرى وجدوا في بيت ابن الصغير سلاسل وأطواقاً وعمداً من الحديد كانت معدّة للقبائل التي عرفت خيانة الإدريسي ونفرت منه كما ينفر السليم من الأجرب ورجوعهم إلى الحق موالاتهم الدولة الخلافة الإسلامية فصفد بتلك الأغلال أعناق أسراء رجال الإدريسي ورد الله كيدهم في نحرهم.

صفة جزيرة العرب

بلاد العرب يحدّها شمالاً بادية الشام الكبرى وغرباً البحر الأحمر وشرقاً بادية العراق وخليج العرب وبحر عمان وجنوباً المحيط الهندي، وأرض هذه البلاد في الغالب رملية وخصوصاً وسطها بين نجد وحضرموت وبلاد عمان وعير والحجاز حيث توجد الصحراء الكبرى التي يسمونها بالدهناء والعرب يسمونها بالربع الخالي ويوجد في أواسطها وهاد من رمال ناعمة بكثرة تنقلها الرياح على الدوام من جهة إلى أخرى ، وإذا صادفت حركتها مرور بعض القوافل التي تخاطر بنفسها في السير على حافاتها التهمتهم وأغرقتهم في جوفها وقبرتهم فيه ويمتد من شمال هذه الصحراء طريق كاللسان يسير بين بلاد الاحساء والقصيم ثم يميل إلى جهة الغرب حتى يمر ببلاد الجوف ويتصل ببادية الشام التي يسمونها بالنفود الصغرى، أما سواحل البلاد فهي عامرة بالسكان وفيها كثير من المزارع

ويوجد ببلاد العرب جبال شمَّخ خصبة كثيرة الأشجار وعيونها كثيرة، من أهم الجبال ببلاد العرب جبل الحجاز بين نجد وتهامة، ويوجد به أنهار كثيرة وبساتين نضره ومزارع كبيرة ومحصولاته وافرة ومن أهمها البن الذي لا يوجد له مثيل في الدنيا. وجبل معان الشهير بالجبل الأخضر ويوجد بنجد جبل عارض وجبل طويق وفي شمَّر جبل سلمى وفي ولاية الحجاز جبل الفقرة وجبل صبح وجبل رضوة وهذه الجبال عامرة بالسكان كثيرة الخيرات والبركات وبلاد العرب ستة أقسام.. اليمن وعسير.. الحجاز.. نجد.. عمان.. حضرموت.. جزيرة البحرين.

القسم الأول: بلاد اليمن

بلاد اليمن ولاية عثمانية واقعة في الجنوب الغربي من جزيرة، وهي قسمان. القسم الغربي منها على ساحل البحر الأحمر وهي السهول وتسمى تهامية. . والقسم الثاني هو جبل السراه أي جبل الحجاز لكونه حاجزاً بين نجد وتهامة ويبلغ عدد سكان ولاية اليمن تسعة ملايين ونصف على أقل تقدير منها أربعة ونصف بالجبل وخمسة بتهامة وطول هذه الولاية من الشمال إلى الجنوب خمس وعشرون ومائتان وألف كيلو متراً ومن الشرق إلى الغرب سبعمائة كيلومتر وعاصمة الولاية صنعاء ومقرها جبل الحجاز وعدد سكانها مائة وخمسون ألف، منهم عشرة آلاف إسرائيلي والباقي مسلمون ويتبع هذه الولاية ثلاثة ألوية لواء تعزّ ولواء الحديدة ولواء عسير ويتبعها من الأقضية قضاء مخا، وزبيد، وبيت الفقيه، وباجل، والزيديّة، ومناخه، وريمه، وبريم، وعمران، وكوكبان،

ودمار، وتربة دبحان، وجبله، وإب، ورداع، والخزجة، وقعطبة، ووادي مور، والحجه، وشاهل، والحجيلة، ورقاب، والطويلة، وماويه، وصبيا، ومحايل، ورجال المع، والقنفدة، والنماص، وغامد، وأيضاً يتبعها من النواحي معبر، وعلان، وضبه، وبلاد البستان، وخولان، والحدا، وسفحان، والروضة، ومنهم، وعتمه، وذوا السفال، والضحى، والمسنب، وقفل شمر، وهمدان، وابن الحارث، وارحب، والظفير، والمنصورة، والمنصورية، ومقحق، والخميس، ومتنه، وحجرة ابن مهدي. هذا ما أدركناه من الأقضية والنواحي ويتبعها من القرى على أقل تقدير ألفين قرية، وفي حدود ولاية اليمن من جهة الجنوب والشرق سلاطين مستقلين بإدارة شؤونهم وأوطانهم، سلطان لحج أحمد بن فضل العبدلي وسلطان البيضاء وسلطان دشينه وسلطان النصاب وأمير سبأ وهو من أشراف الجوف وسلطان احور وسلطان حبان وسلطان يافع وسلطان بيحان وسلطان المكلّا والشحر وأغلب حضرموت تحت سلطته هو السلطان غالب بن عوض القعيطي المحتمي بإنكلترا وأغلب هذه البلاد المستقلة بأمرائها في المثلث شرقي صنعاء إلى ساحل البحر المحيط.

وجبل الحجاز عامر بالسكان وفيه عيون طبيعية تتكوّن منها أنهار تسير في وديان خصبة منها ما يسير إلى الغرب وينحدر في تهامة. وتشرب أراضي تهامة من هذه الأنهار وتفيض إلى البحر الأحمر وأكبر هذه الأودية وادي حلي، ووادي يبا، ووادي الشقيق، ووادي البرك، ووادي الوسم، ووادي بارق الشهير بمشرف، ووادي أبو عريش، ووادي قنونه، ووادي القرماء، ووادي ناوان، ووادي الأحسبة، ووادي دوقه، ووادي الشاقة اليمانية، ووادي الشاقة الشامية، ووادي عُظيم. يسيل على صبيا وتلك الأودية كلها أراض زراعية تزرع ثلاث مرات كل عام، وخيراتها كثيرة وقد سبق الكلام عنها، وهذه كلها في تهامة عسير وتوجد أودية عظيمة في تهامة ولاية صنعاء ولواء تعزّ ولواء الحديدة وخيراتها كثيرة تزيد عن أودية تهامة عسير أضعافاً، وهاك بعض أسماء أوديتها وهي وادي السهام بالقرب من الحديدة. ووادي همدان الذي يمرّ بمدينة تعزّ والوادي الكبير الذي يتبع مخا أما الأنهار التي تصب في المحيط الهندي فهي وادي الميدان، ووادي داما، ووادي الشارد، وهذان الأخيران يجريان قرب صنعاء وينحدر أحدهما إلى الصحراء الشرقية ماراً بخرائب مأرب والثاني بخرائب معين ثم وادي نجران، ووادي يام ووادي قحطان

ووادي الخضراء ووادي بيشة وهذه الأودية شرق السراة ويوجد بتهامة اليمن التابعة للحديدة واد عظيم اسمه وادي اللحيّة خيراته عظيمة جداً ووادي مور وفي تهامة اليمن توجد أشجار الأنْبَه بكثرة وهي المشهورة بمصر بالمنجة ولهم اعتناء كثير بزراعة الموز وهو رخيص جداً لكثرته وعندهم اعتناء بزراعة التنباك الحمى وأهل السراة يزرعون تنباك يسمونه بالأخضر يشرب في العيدان أو القلايين وهو المستعمل عند البدو، وأهم صادرات اليمن التنباك الحمي والبن والنيله والسمسم والذرة والدخن والعدس ويوجد ببلاد اليمن نبت يسمى شجر القات لها ورق يشابه ورق الرمان بل أكبر في الحجم وهو طيب الرائحة قد اعتاد أهل اليمن على مضغه وأكله حتى صار من الضروريات، ومن اعتاد على أكله لا يمكنه تركه لأنه يصير عند مستعمله زيادة عن الدخان والقهوة وجميع أهل اليمن ما عدا أهل عسير يتعاطونه حتى عم الفقير والغني بحيث أن الفاعل يشتري بنصف أجرة يومه منه ويتمشدق به طول نهاره وفي أثناء استعماله لا يريد من يتعاطاه أن يشتغل ومن فوائد ورق القات أنه مصفّ للدم هاضم للطعام.

متصرفية عسير

متصرفية عسير عاصمتها أبها التي ذكرت في الرحلة وفك حصارها دولة أمير مكة، وهي كائنة في جبل السراة شرقي مرفأ الوسم على البحر الأحمر ويتبع لواء عسير ست قائمقاميات منها في السراة اثنتان وهما النماص الواقعة شمال أبها وشرقي القنفدة التي هي مرفأ على البحر الأحمر ويتبعها من القبائل قبيلة باالاسمر وعددها خمسون ألفاً وهي قحطانية ينتهي نسبها لقحطان. وقبيلة بني شهر وعددها مائة وخمسون ألفاً وهي فرع من قحطان. وقبيلة بني عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وعددها خمس وثلاثون ألفاً. وقبيلة بالقرن وعددها أربعون ألف وهي قحطانية أيضاً... والثانية قائمقامية غامد ومركزها رغدان شمال النماص وشرقي مرفأ دوقه التي هي على البحر الأحمر ويتبعها من القبائل قبيلة غامد وهي قحطانية وعددها مائتان

وعشرون ألفاً وقبيلة زهران وعددها مائة وخمسون ألفاً تنتسب لزهير بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهي واقعة في الحد بين متصرفية عسير ومدينة الطائف التابع لولاية مكة المشرفة ويتبعها قبيلة المحلف وعددها أربعون ألفاً وهي قحطانية أيضاً وقبيلة أكلب وعددها خمسون ألف وينتهي نسبها إلى أكلب بن ربيع بن نزار بن معد بن عدنان فهي عدنانية وقبيلة معاوية وعددها اثنان وأربعون ألفاً وتنسب إلى معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان وقبيلة بني سلول وعددها اثنان وأربعون ألفاً وهي عدنانية أيضاً وهذه القبائل الأربعة قاطنة شرق هذا المركز بواد يقال له بيشة أما القبائل التابعة لنفس أبها عاصمة عسير فهي قبيلة قحطان وعددها أربعمائة ألف وجميع القبائل القحطانية باليمن فروع من هذه القبيلة وقبيلة عسير المتقسمة إلى أربع قبائل وهي قبيلة بني مالك بن مرة بن زيد بن مالك بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان والقبيلة الثانية ربيعة بن زيد كهلان بن سبأ إلى قحطان وقبيلة بني مغيد وقبيلة بني رفاده وهؤلاء قبائل عسير أهل السراة وعددهم مائة ألف ويتبع أبها أيضاً قبيلة شهران وعددها مائتا ألف وهي قحطانية أيضاً وقبيلة باالاحمر

وعددها أربعون ألفاً وهي قحطانية أيضاً والأربعة الأقضية الباقية بتهامة عسير أولها من جهة الجنوب قائمقامية رجال المع ومركزها الشعبة وهي واقعة في منتهى ميل جبل الحجاز غربي أبها ويتبعها من القبائل قبيلة رجال المع وهم الفرع الثاني من عسير أهل تهامة وعددهم مائة ألف وهي قحطانية وقبيلة ولد أسلم بن الحافي بن قضاعة بن نزار بن معد بن عدنان وعددها خمسون ألفاً وقبيلة بني قيس وهي عدنانية وعددها ستون ألفا وتنسب لقيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط إلى عدنان وقبيلة ربيعة بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب إلى قحطان وعددها سبعون ألفاً وقائمقامية محايل ومركزها البلد المسماة بمحايل وهي قائمقامية رجال المع ويتبعها من القبائل قبيلة الرايش بن كعب بن زيد الجمهور بن عمرو بن الغوث بن عرين بن زهير إلى قحطان وعددها تسعون ألفاً وقبيلة ربيعة وهي قحطانية وعددها مائتا ألف وقبيلة التيم نسبة لتيم بن ثور بن كلب بن وبره إلى عدنان وعددها ستون ألف ثم قائمقامية القنفدة وهي مرفأ على البحر الأحمر ويتبعها من القبائل قبيلة بني شهاب والمشايخ القاطنين بوادي دوقة وعددهم أربعون ألفاً وهي قحطانية والأشراف العبادلة وأتباعهم وقبيلة العجالين وعددها

خمسة عشر ألفاً وهم قاطنون بوادي الأحسبة وقبيلة زبيد وهي فرع من قبيلة زبيد القاطنة بين الحرمين الشريفين وعددهم ثلاثون ألفاً مقرّهم وادي القرماء ووادي ناوان وقبيلة النواشره وهي قحطانية وعددها أربعون ألف وقاطنة بوادي يبا وقبيلة المرازيق قحطانية أيضاً وعددها خمسون ألفاً وهي مقيمة بوادي يبا وقبيلة بني يعلى بن أمية بن عبدة بن همام بن جشم إلى عدنان وعددها اثنان وتسعون ألفاً ومقيمة بوادي يبا وقبائل قوز أبو العير وهي قحطانية وعددها مائة ألف وقبيلة حرب قحطانية وعددها اثنا عشر ألفاً ومقيمة بوادي حلى وقبيلة الغوانم وهي عدنانية وعددها ثلاثون ألفاً وقاطنة بوادي حلى وقبائل ناحية العرضية وهي قبيلة با القرن وآل سليمان وآل عمارة ونسبتهم إلى قحطان وعددهم ثمانون ألفاً وقبيلة بالحارث بن كعب بن زيد الجمهور إلى قحطان وعددها خمسون ألفاً وقبيلة شمران أهل تهامة وهي قحطانية وعددها خمس وثلاثون ألف وقبائل آل بحيري وبني عوامر وهي قحطانية وعددهم ثلاثون ألفاً وقبيلة بالعريان وبني سهيم وهي قحطانية وعددهم اثنان وثلاثون ألفاً وقبيلة بني زيد بن مالك بن حمير بن سبا إلى قحطان وعددها مائة وخمس وعشرون ألفاً وقاطنون بوادي قانونه التي يفيض إلى القنفدة وقبيلة كنانة بن

خزيمة بن مدركة بن الياس إلى عدنان وعددهما أربعون ألفاً وقائمقامية صبيا وهي واقعة في الجهة الشرقية من مرفأ جيزان والمسافة بينها وبين جيزان ثلاثون كيلومتراً والمسافة بين صبيا وأبها سبعة أيام ويتبعها من القبائل قبيلة خشعم بن ثمار بن الغوث إلى قحطان وعددها مائة ألف وقبيلة بني تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس إلى عدنان وعددها تسعون ألفاً وقبيلة بني الحارث بن كعب إلى قحطان وعددها مائة ألف وقبيلة المسارحة وهي قحطانية وعددها ثلاثون ألفاً وقبيلة بني مروان قحطانية أيضاً وعددها تسعون ألفاً وقبيلة مسرح قحطانية وعددها ثلاثون ألفاً وقبيلة الخماسين قحطانية وعددها خمس وسبعون ألفاً وقبيلة بني شبيل قحطانية أيضاً وعددها خمسة وسبعون ألف وقبيلة بني نشر وعددها خمسة وعشرين ألفاً وقبيلة بني عبس بن بغيض بن عطفان إلى عدنان وعددها مائة ألف.

جغرافية عسير:

يحدّها من جهة الجبل جنوباً صعداً ومن جهة الشمال بالجبل زهران ومن جهة تهامة يحدها جنوباً وادي أبو عريش وشمال وادي دوقة بالقرب من الليث ويحدّ هذه المتصرفية من الشرق قبائل قحطان شرق صعداء ومن جهة الشمال شرقاً وادي بيشة ومن جهة الغرب البحر الأحمر.

ولاية الحجاز

ولاية الحجاز عاصمتها (مكة المشرفة) ويحدها من الغرب البحر الأحمر ومن الشرق البادية الكبرى ومن الجنوب بلاد قبيلة بني مالك الكائنة بجبل السراء المتاخمين لبلاد زهران هذا من جهة الجبل وأما من جهة تهامة فيحدها جنوباً وادي دوقة وشمالاً بادية الشام إلى تبوك من الداخل ومن جهة البحر الأحمر العقبة والحجاز إقليم مستطيل يبلغ طوله من الشمال إلى الجنوب ألف وخمسمائة كيلو متراً وعرضه من الشرق إلى الغرب خمسمائة وخمسون كيلومتراً تقريباً ومن الجنوب الشرقي من الولاية وادي رنيه أما القبائل التابعة لولاية الحجاز فها هي مرتبة حسب موقع كل منها جغرافيا فالقبائل القاطنة بالشرق شمالاً قبيلة بني عبد الله المشهورة بمطير وعددها مائتين ألف تقريباً وهي ممتدة إلى نجد ونسبها ينتهي إلى عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد

مناه بن تميم بن مرة بن أذ بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ويليها من الجنوب قبيلة سليم وعددها ستون ألفاً تقريباً ونسبها ينتهي إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قبس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ثم يليها جنوباً قبائل عتيبة وهذا الاسم شامل لجملة قبائل متحالفة والتحالف أو الحلف هو قديم بين العرب من زمن الجاهلية يجمع بين القبائل ولو تباعدت أنسابها فلا فرق بين القحطانية والعدنانية عتيبة وهوازن متحالفان فحقيقة عتيبة هي هوازن وعتيبة ثم أن عتيبة تنقسم إلى ثلاثة أفخاذ: (برقة)، (وشملة)، (وروقة) فشملة تتفرع إلى أفخاذ وهي: (العطيات) (والعقفة) (والهوارنة)، (والهمارقة) (والهميسات) و(الجعدة) (والبصصه) (والمقطه) وأما فخذ برقة فإنه يتفرع إلى أفخاذ وهي: (النفعه) (والثبته) (والقثمه) (والشيابين) (والدهسه) (والعصمه) (والدعاجين) وفخذ الروقة ينقسم إلى أقسام وهي: (ذوي عالي) (والذيبه) (وذوي زرّاق) (والطلوح) وعدد جميع قبائل عتيبة ثلاثمائة ألف ومن شيوخ هذه القبائل المشاهير (ابن هندي) في الشرق (وابن هليّل) في السراة أما الشيابين فإنها تنسب إلى شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسطة بن هنب بن جديلة بن

أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقبيلة الذيبة نسبة لذبيان بن بغيضة بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان وقبيلة بني سعد بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان وقبيلة الجعدة نسبة لجعدة بن كعب بن عامر بن حصحصه بن معاوية بن بكر إلى عدنان وباقي عتيبة من هوازن ابن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة إلى عدنان وفي جنوب عتيبة قبيلة ابن الحارث وعددها اثنان وستون ألفاً وهي من الحارث بن تميم بن مرة بن اد بن طابخة بن الياس إلى عدنان ويليهم جنوباً قبيلة البقوم وهي قبيلة عدنانية وعددها خمس وسبعون ألفاً ويليها من الجنوب قبيلة سبيع وعددها ستون ألفاً ونسبها ينتهي إلى أسد بن خذيمة بن الياس إلى عدنان وهؤلاء القبائل جميعهم قاطنون في الجهة الشرقية لولاية الحجاز وأعظم أودية هذه القبائل وادي رهاط وهو لقبيلة الروقة وبه خمسة عشر عيناً تجري وهو خصب التربه وفيه من النخيل مائتان وخمسون ألفاً على أقل تقدير، هذا خلاف الخضر والحبوب ويوجد بهذا الوادي قرى آهلة بالسكان من نفس القبيلة ثم وادي تربة لقبيلة البقوم وأميرهم الشريف سلطان بن جعفر وأيضاً وادي رنية لقبيلة سبيع وأميرهم الشريف ابن لؤي وبه انتهى الحد الشرقي.

الحد الجنوبي للولاية:

أول قبيلة من الجنوب قبيلة بني مالك الواقعة في نهاية الحد الجنوبي مما يلي عسير بجبل السراة عددها ثمانون ألفاً ونسبها ينتهي إلى مالك بن زيد مناه بن تميم بن مرة بن أد بن طابخة بن الياس إلى عدنان وهم قاطنون بالسراة وشمالهم قبيلة ثقيف وعددها ستون ألفاً ونسبها ينتهي إلى ثقيف بن منبه بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان وقبيلة ناصرة وعددها ثمانية عشر ألفاً ونسبها ينتهي إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان ومن شمال الطائف إلى آخر جبل السراة واد يقال له الهدا يرتفع عن سطح البحر بألفين ومائتين وخمسين متر ويقطن بهذا الوادي قبيلة قريش وبعض من قبيلة هذيل، أما قبيلة قريش فعددها خمسة عشر ألفاً ونسبها إلى قريش مالك بن النضر بن كنانة إلى عدنان ومن قبيلة قريش فرع محالف لقبائل عتيبة من قديم. وقبيلة عدوان وعددها عشرة آلاف ونسبها إلى عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان فهذه هي القبائل القاطنة بجبل السراة. ومن مزروعات هذا الجبل الفواكه التي قلّ أن يوجد نظيرها في

المعمورة وبه غابات كثيرة أغلبها شجر العرعر ويوجد هناك أشجار اللوز بكثرة والتنباك ويزرع فيه من الحبوب البر والشعير والذرة البيضاء والشامية وكافة الخضر وبه أنهار طبيعية تسيل من الجبل وتنحدر إلى تهامة. أما جنوب ولاية الحجاز من جهة تهامة فيحدّها وادي دوقة وله مرفأ على البحر الأحمر بهذا الاسم ويوجد بهذه الجهة قبيلة المشايخ وعددها خمسة آلاف ونسبها إلى الأوس بن حارثة بن ثعلبة إلى قحطان وفي الجهة الشمالية ذوي حسن الإشراف وهم أولاد المرحوم سيدنا الشريف الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثاير بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحضّ بن الحسن المثنى بن سيدنا الحسن السبط بن فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أجمعين، وعددهم خمسة عشر ألفاً ويليهم من الشمال قبيلة رحمان وعددها عشرون ألفاً ونسبها ينتهي إلى حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة بن نزار بن معد بن عدنان ويليها من الشمال قبيلة الزنابحة وعددها أحد وعشرون ألفاً وهي عدنانية وفي الجهة الغربية من قبيلة الزنابحة قبيلة الثعالبة وعددها سبعة آلاف ونسبها ينتهي لثعلب بن وبرة بن يغلب بن حلوان إلى

عدنان وبين هذه القبائل وبين مكة قبيلة هذيل وقبيلة الجحادلة وقبيلة فهم أما قبيلة هذيل فمحيطة بدائرة مكة من الأربعة جهات ففرع منها وهو الأكبر قاطن جنوب مكة وفرع منها قاطن بين مكة ووادي فاطمة جهة شمال مكة وتسمى بلحيان والمجانين وفرع منها يقطن مكة وتسمى ببني عمير والمطارفة وبني مسعود والسعايد وفرع منها قاطن بوادي نعمان ووادي عرنة ووادي ملكان وعدد الجميع اثنان وتسعون ألفاً ونسبها ينتهي إلى هذيل بن مدركة بن الياس إلى عدنان وأما قبيلة الجحادلة فهي جنوب مكة وعددها خمس وثلاثون ألفاً ونسبها ينتهي إلى عجل بن لخيم بن صعب بن علي إلى عدنان وأما قبيلة فهم فهي جنوب مكة وعددها اثنان وعشرون ألفاً .

ومنها فرع بسفح جبل السراة بالجهة الشهيرة بكري ونسبها إلى فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان بن الياس إلى عدنان وهناك قبيلة كائنة بين وادي الليمون ووادي الزبارة شرقي مكة تسمى الزواهرة نسبة إلى زهير بن خباب بن كنانة بن عذرة بن زيد اللات بن ثور بن كلب بن وبره بن تغلب بن حلوان إلى عدنان أما الأشراف القاطنون خارج مكة من جهة الجنوب إلى حد البحر الأحمر إلى بندر جدة فهم الأشراف آل حمود العبادلة والأشراف ذوي سرور والأشراف الشنابرة والأشراف

ذوي حراذ والأشراف ذوي عبد الكريم والحد الفاصل لهؤلاء الأشراف بطريق السلطاني الموصل من جدة إلى مكة وشمالاً لهؤلاء الأشراف، الأشراف العلوات أبناء سيدنا الشريف عمرو بن بركات وباقي الأشراف قاطنون بوادي فاطمة والبعض منهم قاطن بالطائف وما يتبعه من الأودية والبعض منهم قاطن بوادي نعمان بعرفة والبعض منهم قاطن بمكة وهؤلاء الأشراف يجمعهم جد واحد وهو المرحوم سيدنا الشريف أبو نمي أمير مكة المتوفى عام اثنين وتسعين وتسعمائة هجرية وتولى الإمارة مدة ستين سنة وكان توليته لها سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة وتوفي سيدنا الشريف أبو نمي المذكور عن ثلاثة أولاد وهم سيدنا المرحوم الشريف الحسن أمير مكة وهو جد صاحب الدولة والسيادة أمير مكة الحالي سيدنا الشريف حسين باشا وقد تفرّع من سيدنا الحسن الأشراف العبادلة والأشراف ذوي زيد والأشراف الشنابرة والأشراف ذوي سرور والأشراف الحرّث والأشراف المناعمة والأشراف ذوي جيزان وذوي جود الله أما ولده التالي فهو سيدنا الشريف بركات وتنسب إليه الأشراف ذوي حسين والأشراف ذوي إبراهيم والأشراف ذوي عمرو والأشراف ذوي عبد الكريم وولده الثالث سيدنا المرحوم الشريف أحمد وتنسب إليه

الأشراف المناديل وفرع منهم قاطن بقوز أبو العير بتهامة عسير والأشراف ذوي حراز وهؤلاء الأشراف جميعهم أولاد سيدنا المرحوم الشريف أبو نمي وعددهم ستة عشر ألفاً هذا هو نهاية الحد الجنوبي للولاية آخذاً من الجهة الغربية للولاية من اسكلة الرويس الواقعة على البحر الأحمر شمالي جدة إلى أن ينتهي لجدة وفي شمال بندر جدة الأشراف العلوات ونهاية ديارهم وادي الهدى الواقع شمال مكة وشمال هؤلاء الأشراف على ساحل البحر الأحمر قبيلة حرب هي واصلة إلى حدود ينبع البحر التابعة لقبيلة جهينة أما دائرة قبيلة حرب فحدها الغربي من ينبع البحر إلى الرويس شمال جده ولهم من الاساكل الرويس وذهبان والدعيجية والقضيمة ورابع الشهيرة بالجحفة ومستوره والرايس ويحدها من الشرق قبيلة عتيبة وقبيلة سليم وقبيلة مطير بني عبد الله وقسم من حرب ممتد شرقاً من المدينة المنورة إلى حدود شمر ويحدّها من الجنوب الأشراف ذوي بركات ومن الشمال من جهة الغرب قبيلة جهينة ومن جهة الشرق قبيلة عنزة وقبيلة حرب تنقسم إلى فخذين فخذ يقال لهم بنو مسروح والثاني يقال لهم بنو سالم وبنو سالم فرعان أحدهما يقال له ميمون والثاني يقال له المراوحة وهم المشهورون بالحوازم، ويتفرع من المراوحة قبيلة (الظواهرة)

(والحنيطات) (والحجلة) (ومزينة) (والحنانيه) (والجلادية) (والعويضات) (والقراف) (وبني محمود) (وأولاد باليحيا) وأما بني ميمون فمنهم (الأحامدة) ومنهم فرع يقال له الشواربية التي منهم الشواربية القاطنين بقليوب مصر (والرّحلة) (والمحاميد) (وصبح) (والمطالحة) (والسرحة) (وبني حيا) (والوفيان) (والسعادين) (وبني سليم) (والحجلة) (والموارعة) ويتفرّع من مسروح فرعان أحدهما يقال له بنو عمرو والثاني زبيد فبنى عمرو تتفرع إلى عدة قبائل وهم: (بشر) (ومعبّد) (والحمران) (وبني جابر) (والبلاديّة) (ومناش) (والعبدة) (والذويبي) (ورويته). أما زبيد فيتفرع منها عدة قبائل وهي قبيلة عوف وهي ثلاثة فروع: (الصواعد) (والسهليّة) (واللهبة) (وقبيلة القوائم) (والصحاف) (والعسوم) (والجحادلة) (والجدعان) (والمزاميم) (والمحاورة) (والمزاريع) (والقراقرة) (والفوارس) (وابن السفر) وعدد قبائل حرب ثلاثمائة ألف على أقل تقدير ونسبهم ينتهي إلى أشخاص من القبائل العدنانية فقبيلة بني عمرو نسبة إلى عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن افص بن جديلة بن أسد إلى عدنان ومنهم الغوانم نسبة لغنم بن تغلب إلى عدنان وقبيلة عوف نسبة لعوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناه بن تميم بن

مرة إلى عدنان وباقي القبائل تنسب لحرب العدناني وشياخة مسروح منحصرة في بيت ابن عسم وشياخة بني سالم منحصرة في بيت حذيفة وشمال قبائل حرب قبيلة جهينة ونسبها إلى جهينة بن زيد بن أسلم بن الحافي بن قضاعة بن نزار إلى عدنان وعددها سبعون ألفاً ويحدّها غرباً البحر الأحمر من ينبع البحر إلى اسكلة أم الدبا التي هي حدود قبيلة (بلى) ولها من الأساكل ينبع وملجّ ويحدها من الشرق قبيلة عنزة، وخيبر الشهيرة ومن الشمال قبيلة بلى وجهينة قسمان أحدهما بنو مالك ويتفرع منهم قبيلة: (الصيحة) (وعروة) (والحصينات) (والأساورة) (والمساوي) (ورفاعة) (وبني كلب) (والحيادلة) (والحمدة) (والمواليد) وأشراف قبيلة بني مالك هم العيايشة والقسم الثاني يقال له بنو موسى ويتفرع منه (البراهمة) (والموالي) (والمرادين) (والعلاوين) (وذبيان) (والعوامرة) (والسمايحة) (والسمرة) ومنهم فرع بمصر بقرية لهم تابعة إلى شبين القناطر يقال لهم بيت أبو ثابت وبيت أبو يونس وأشراف قبيلة بني موسى الأشراف ذوي هجار وشمال قبيلة جهينة قبيلة (بلى) وعددها خمس وخمسون ألفاً ونسبها إلى بلى بن عمرو بن الحافي بن قضاعة بن نزار بن معد بن عدنان ويحدّها من الغرب البحر الأحمر ولها من الأساكل أم الدبّة والوجه

ومن الشرق قبيلة عنزة ومحطة العلا بالسكة الحديد الحجازية ومن جهة الجنوب جهينة ومن جهة الشمال قبيلة (الحويطات) ويلي قبيلة (بلى) شمالاً قبيلة الحويطات وعددها مائتان ألف والتابع منها لولاية الحجاز سبعون ألفاً والباقي تابع لولاية الشام ولها من الأساكل الحجازية ضبا والمويلح والعقبة وإلى هنا ينتهي الحد الغربي لولاية الحجاز ويتفرّع من هذه القبيلة (الجوازي) (والرياضات) (وعمران) (وبني عطية) (ودبور) (والسبابهة) (والترابين) (والبطحة) وقبيلة الحويطات قحطانية وقبيلة عنزة وعددها ثلاثمائة ألف منها مائة ألف تابعة لولاية الحجاز وقاطنون شمال المدينة المنورة في الحد الشمالي لولاية الحجاز وباقي قبيلة عنزة قاطنون شمال ولاية الحجاز حتى يصلوا إلى الجوف وهي دومة الجندل ونسبتهم إلى عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وقبيلة الشرارات المشهورة بهتيم وموقعها بين الشرق والشمال للولاية وهي تابعة لها، وعددها أربعون ألفاً ونسبها ينتهي إلى عبس بن بغيض بن غطفان إلى عدنان وهي نهاية حدود ولاية الحجاز وعاصمة الولاية هي مكة المشرفة وفيها بيت الله الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام من دخلها كان آمناً وأهلها هم الذين أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف ومنها

بعث رسول الله ﷺ وفيها هبط الوحي ومنها انتشر الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها وهي أم القرى وفيها ولد الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين وعدد سكانها مائتا ألف وهي واقعة بواد غير ذي زرع اسمه وادي إبراهيم وترد إليها الثمرات بكثرة من الطائف فتأتيها أنواع الفواكه منها بكثرة ومن ضواحيها كواد الحسانية والعابدية ووادي فاطمة الشهير وجميع أنواع الخضر والبطيخ والشمام والرطب والموز والنارنج والليمون والجزر اليماني وهو البطاطة والبصل والفجل والكراث والبرسيم والخضر بأنواعه حتى يكفيها ويكفي جميع الحجاج الوافدين إليها من هذه الأماكن تصديقاً لقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

وادي فاطمة

هو واد جميل أوله من جهة الشرق محطة وادي الليمون التي هي أول محطة للقوافل الذاهبة من مكة إلى المدينة من جهة الشرق ويمتد غرباً إلى حدّه الكائنة على الطريق الموصل من جدة إلى مكة هو واد فسيح وبه مجرى السيل وطول هذا الوادي من الشرق إلى الغرب ثمانون كيلومتراً وعرضه من ثمانية إلى عشرة حسب اختلاف المواضع وبهذا الوادي من العيون من جهة الشرق (عين المضيق) الواقعة بوادي الليمون وبها قرية للأشراف الحرّث ويليها (عين الجديدة) وبها قرية صغيرة لبني عمير ويليها (عين سولا) وبها قرية لقبيلة الزواهرة ومعهم اختلاط ويليها عين (الزيمة) وبها قرية لبني عمير وهي أول محطة للمسافر من مكة إلى الطائف ثم يليها عين (الامبارك) وبها قرية للأشراف المناعمة ثم يليها عين (الريان) وبها قرية للأشراف المناعمة ثم يليها عين (الطرفاء) وبها قرية

للأشراف المناعمة ثم يليها عين (القشاشية) ثم يليها عين (الدبَّة) ثم يليها عين (الفايجة) ثم يليها عين (أبو حصاني) ثم يليها (عين الخلص) ثم يليها عين (الدخان) ومن عين القشاشية إلى عين الدخان ملك المرحوم سيدنا الشريف عون أمير مكة الأسبق ثم يليها عين (الخيف) وبها قرية للأشراف الراوجحة ثم يليها عين (شمس) وهي ملك دولة سيدنا الشريف حسين أمير مكة الحالي وبها قرية للأشراف المفالحة ثم يليها عين (البرقة) هي ملك المرحوم سيدنا الشريف عبد الله ثم يليها عين (الروضة) ثم يليها عين (أبو عروة) ثم يليها عين (الحسنية) ثم يليها عين (الهنية) ثم يليها عين (الجموم) وهي كائنة بأول محطة من جهة مكة شمالاً للمسافر إلى المدينة المنورة على الطريق السلطاني ومنها تستقي جميع الحجاج وهي للأشراف ذوي حسين القاطنين بقرية أبو عروة شرق العين المذكورة وعين (الخضراء) (وعين المدرة) وعين (أبو شعيب) وبها قرية للأشراف ذوي حسين وذوي عبد الله وذوي شقراء وعين (الفيض) وعين (الشماسي) وبها قرية لعرب يقال لهم الشيوخ من أتباع الأشراف وعين (الجديد) وبها قرية للأشراف ذوي حسين تسمى الدوح وعين (بحرين) وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم يقال لها الدوح الصغير وعين (واسط) وبها قرية

لخزاعة وعين (الهرامز) وعين (الجديدة) وعين (البرابر) وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم وعين (صروعة) بها قرية للأشراف وعين (المرشدية) وهي ملك سيدنا المرحوم عبد الإله باشا وعين (المقوَّع) وبها قرية للأشراف ذوي عبد الكريم وعين (الركاني) وعين (حداء) وهما لسيدنا الشهيد الحسين أمير مكة سابقاً وهي في نهاية الوادي من الغرب وبها قرية حداء وهذه العيون المذكورة متفجرة من نفس الوادي وينابيعها من الجبال المجاورة لها وهذا الوادي تنحدر منه السيول الآتية بعضها من نجد وتصب بواد يقال له مر ويفيض على وادي فاطمة وأنهار جبل الحجاز الشرقية تصب في واد اسمه الزبارة وواد اسمه وادي الشامية أيضاً وكلاهما يصب بوادي فاطمة وواد اسمه وادي علاف تسيل فيه أنهار من جبال رهاط شرقي وادي فاطمة وتنحدر مياهه في وادي فاطمة فيتكوّن فيه سيل جارف ودائماً الأنهار تجري بالوادي أيام فصول المطر فإذا انقطع المطر انقطعت الأنهار ما عدا العيون فإنها تجري على الدوام ويوجد خلاف هذا الوادي وادي الهدا وهو شمال وادي فاطمة وبه أربعة عيون وآبار كثيرة ماؤها قريب من سطح الأرض بحيث لا يتجاوز بعده ثلاثة أمتار وبعضها أقل وماؤها غزير لا ينقطع وأراضيها زراعية وبهذا الوادي النخيل بكثرة

والموز والليمون والخضروات ترد منه إلى مكة وجدة وبالأخص جدة وكذلك بوادي نعمان عين اسمها (سمار) للأشراف وعين اسمها (الشرايع) شرقي مكة وفي وادي نعمان أيضاً من جهة جنوب مكة عينان أحدهما اسمها (الحسينية) والثانية (العابدية) للأشراف وعينان بوادي ملكان للأشراف أيضاً ولاية الحجاز بها متصرفيتان الأولى بندر جدة الواقعة على البحر الأحمر وهي أسكلة عظيمة وبها جمرك وثكنات للعساكر ومحجر صحي وهي أعظم أسكلة في ولاية الحجاز وهي مدينة عظيمة شاهقة المباني آهلة بالسكان يبلغ عدد سكانها خمسين ألفاً وبها أعاظم تجار الولاية ومخازنهم بها وميناء جدة من أعظم الموانئ الموجودة على البحر الأحمر ويمتاز بحر جدة بوجود شجر اليسر بقاعه واللؤلؤ ويوجد به أعظم أصناف السمك وبجدة أيضاً سفراء للدول والمسافة ما بين جدة ومكة ثمانون كيلومتراً وأعظم الآثار بجدة قبر أم البشر السيدة حواء والثانية متصرفية المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ودفن رسول الله بها في بقعة هي أشرف البقاع على وجه الأرض والمدينة محاطة بسور آهلة بالسكان بها مباني فاخرة ويبلغ عدد سكانها سبعين ألفاً وهي معتدلة الهواء أراضيها المجاورة لها جميعها تزرع بساتين

وخضر وبالمدينة عين عظيمة عذبة الماء تسمى عين الزرقاء وبها محطة للسكة الحديد الحجازية وهي نهاية الخط المذكور الآن وجميع فواكه وتجارة الشام تجلب للمدينة بكثرة بواسطة هذه السكة ويوجد بالمدينة من أصناف الفواكه العنب والرمان والتين والخوخ ويزرع في بساتين المدينة النخيل بكثرة ولا يوجد بولاية الحجاز تمر أحسن من تمر المدينة وهو مشهور في عموم بقاع الأرض وبالجملة فإن منظر المدينة المنورة جميل جداً وبساتينها ونخيلها أحسن ما يوجد بجزيرة العرب وبولاية الحجاز ثلاث قائمقاميات أحدها ينبع البحر وهي مرفأ المدينة المنورة على البحر الأحمر ومبانيها منتظمة وعدد سكانها اثنا عشر ألفاً وهي القرى التي حولها التابعة لها، والثانية قائمقامية الليث وهي مرفأ على البحر الأحمر جنوب جدة وعدد سكانها ستة آلاف والثالثة قائمقامية الوجه وهي مرفأ على البحر الأحمر أيضاً وعدد سكانها خمسة آلاف ويوجد أيضاً بالحجاز أمارة للعرب وهي الطائف التي يبلغ عددها عشرين ألفاً وأميرها سيادة الأمير الشريف زيد بن فواز المولى من طرف دولة أمير مكة وتحت أمارته جميع القبائل الموجودة بجبل السراة والطائف هو نهاية جبل الحجاز من جهة الشمال ويعلو عن سطح البحر بنحو ألفين ومائة وخمسين متراً وبه عيون تجري

وآبار وأراضي الطائف خصبة وبساتينه كثيرة وهواؤها جيد بارد جاف وأهل مكة تذهب إليه في الصيف كما أن دولة أمير مكة وهيئة الحكومة والأغنياء بمكة تذهب إليه في كل عام صيفاً ، الفواكه الموجودة بالطائف كثيرة من ضمنها الرمان والسفرجل ولا يوجد لهما مثيل في أنحاء المعمورة ويزرع بالطائف من الحبوب بكثرة البر والشعير والذرة ويمتاز الطائف بجودة الورد الموجود بكثرة وفي وقت حرارة الصيف الشديدة يكون ماء الطائف كأنه مثلج بطبيعته وذلك لجودة هوائه وأما في فصل الشتاء فيجمد داخل الإناء من شدة البرد ولا تحسن الإقامة في الطائف إلّا في فصلي الربيع والصيف إذ لا يمكن للإنسان أن يرتدي فيهما إلا باردية الشتاء أما الأودية التي بين الحرمين الشريفين ففي (وادي غران) وهو ملك لقبيلة الصحاف وهو خصب للغاية ويزرع به الشمام والبطيخ والقثا والخيار والنخيل والخضر يزرع فيه ومن الحبوب الذرة والدخن ويسقى من الآبار وفيه بعض عيون (ووادي خليص) وهو ملك العسوم والطّيرة والهنود والمغاربة وهما من حرب بطريق المحالفة وأعلى الوادي لقبيلة سليم ويسمى وادي ساية وهو خصب يزرع فيه أشياء كثيرة أغلبها النخيل وبه من العيون خمسة عشر عيناً ومن الآبار كثيراً (ووادي الخوار) وأغلب بساتينه الليمون

والموز ويجلبان إلى مكة وجدة بكثرة وغاباته نخل الدوم وهو ملك لحرب والأشراف موقعه في الجهة الشمالية لوادي خليص (ووادي ستارة) ونصفه الأعلى لقبيلة سليم ونصفه الأسفل لحرب الأعلى هو الجهة الشرقية والأسفل هو الجهة الغربية وهو خصب جداً وفيه من العيون الجارية تسع وثلاثون عيناً تسقي النخيل والليمون، ويزرع فيه من الحبوب الذرة والدخن ومن الخضروات كثيراً أما أنهاره فتنحدر في وادي (قديد) ويليه شمالاً (وادي كليّه) ويوجد به مزارع كثيرة على الآبار ونخيل كثيرة ويزرع به الذرة والدخن وهو لحرب وفي شمالي هذا الوادي مما يلي البحر وادي رابغ لحرب وأراضيه جيدة خصبة للغاية ويزرع فيه الخضر والبطيخ والشمام بكثرة ونخيله على أقل تقدير مائة وخمسون ألفاً ويزرع به من الحبوب الذرة والدخن وهذا الوادي لا يبعد عمق الماء فيه عن متر على الأكثر والنخيل جذورها بالماء لا تحتاج إلى سقي وشرق هذا الوادي (وادي الفُرُع) وهو للشمال أقرب وخيراته كثيرة وأرضه خصبة وعيونه كثيرة ومن محصولاته النخيل التي لا تعد ولا تحصى والليمون بأنواعه والنارنج والموز وهو جميل للغاية ويزرع فيه من الحبوب الحنطة والذرة والشعير وجميع مزروعاته تسقى من العيون الجارية وهو لحرب (ووادي الصفراء) شمال رابغ وهو

لحرب وبه من العيون عشرون عيناً وأغلب مزروعاته النخيل والليمون والحناء وشمال هذا الوادي (وادي ينبع النخل) وبه خمسة وثلاثون عيناً وتربته جيدة للغاية ومزروعاته كالذي قبله، وهو ملك الأشراف العيايشة وذوي هجار وقبيلة جهينة وشمال هذا الوادي (وادي العيص) وهو خصب التربة ومياهه تجري على وجه الأرض وبه عيون وهو قريب العهد في الزراعة وهو لجهينة وأغلب بساتينه تابعة لسيدي السنوسي وجميع الأودية المذكورة وخلافها بحرب وجهينة لسيدي السنوسي بجوارها مكاتب لتعليم القرآن ويوجد في شرقي وادي فاطمة يقال له (وادي مدركة) وأيضاً (وادي رهاط) وهما من أخصب الأودية ونخيلها لا تعد ولا تحصى ورطبها جميل جداً وبهما عيون وجداول جارية على الدوام، وعيونه لسقي النخيل وهما ملك قبيلة الروقة من عتيبة والأشراف (ووادي تربة) شرقي مكة ملك لقبيلة البقوم والأشراف العبادلة ذوي سلطان وهو من أعظم الأودية كثير النخيل وبه نهر جار دائماً كبير جداً وبه غابات كثيرة من الأثل والطرفاء وخلافه وفيه من النخيل على أقل تقدير مائتا ألف والنخلة في هذا ا لوادي ثمرها يوازي ثمانية قناطير على الأقل وجنوب هذا الوادي (وادي رنية) وهو ملك لقبيلة سبيع ويشبه الذي قبله وجميع تلك الأودية آهلة بالقرى وبكل

قرية مسجد للصلاة ومكتب للقراءة ومنزل عام للواردين. أما الجبال الشهيرة بالولاية فهي جبل (كرى) بالطائف وجبل الفقرة في الجهة الغربية للمدينة المنورة بمرحلتين وهو لقبيلة الأحامدة من حرب ومساحة هذا الجبل سير يومين وهو خصب التربة ويزرع بسطحه البر والشعير وبسفحه النخيل بكثرة ومن عجايب هذا الجبل أن النخيل فيه تثمر في العام مرتين والرطب على الدوام فيه، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ألف ومائة وخمسين متراً وهواؤه جيد للغاية ويوجد به النحل بكثرة وعسله مثل الشفاف من أحسن ما يكون، له رائحة جميلة وجنوب هذا الجبل (جبل) لقبيلة صبح من حرب وبه اللوز والنخيل بكثرة هذا بخلاف ما سبق ذكره من المزارع بهذا الجبل وارتفاعه ألف وأربعمائة متر عن سطح البحر ومساحته تعادل مساحة جبل الفقرة وجبل لجهينة يسمى (رضوه) ويزرع به النخيل بكثرة وهواؤه جيد وارتفاعه كالذي قبله ويوجد جبل يقال له (حضن) لقبيلة البقوم شرقي مكة وهو من الجبال الشهيرة بولاية الحجاز.

بلاد حضرموت

وهي الأحقاف واقعة بين ولاية اليمن وبلاد عمان والمحيط الهندي والصحراء الكبرى ولها من الموانئ على البحر الهندي (المكلا) و(الشحر) و(ظفار) وفي داخلية البلاد أودية أشهرها وادي (دوعن) (ووادي عمد) (ووادي حجر) وأشهر مدن حضرموت مدينة سيوون وتريم ويزرع بحضرموت النخيل والسدر النبق بكثرة والتنباك الحمي ولهم اعتناء زائد بزرعه وتصديره للخارج وحضرموت هي مقر السادة العلوية الحسينية وهم أهل علم وصلاح وجميع قبائل حضرموت تحترمهم احتراماً زائداً وهم الواسطة في حل المعضلات بين العربان إذا وقعت بينهم فتنة ويبلغ عدد قبائل حضرموت نصف مليون بوجه التقريب وهم يتعاطون التجارة بأعظم مدن الشرق ومقيمون بها ولهم شهرة عظيمة ببلاد جاوه وهي جزر سومطار ومن مشاهير تجّارها بجاوه بيت السيد السقاف وبيت السيد الكاف وبيت السيد جنيد هذه بلاد حضرموت ويليها :

بلاد عمان وتسمى إمامة مسقطة

وهي واقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب، وكل ساحل عمان عامر بالقرى والسكان وطوله من ثغر مربط إلى جزيرة القطر ألفا كيلو متر وعرضه من داخلية البلاد ثلاثمائة كيلومتر وتنقسم البلاد إلى (البطنة) أي تهامة ولا تمتد أكثر من أربعمائة كيلو متر أغلبها مغطى بالنخيل المشهور بجودة ثمره، ثم إلى قسم الجبال وأكبرها الجبل الأخضر وارتفاعه ألفان وأربعمائة متر عن سطح البحر وفيه كثير من الغابات والأحراش، ويوجد بين جبالها وديان كثيرة خصبة تسقى بواسطة أنهار جارية وأهم حاصلات عمان التمر والحنطة والذرة والشعير والنيلة والبرسيم والخضر وكثير من أنواع الفواكه، لا سيما الجوز الهندي والأنبه وهي المنجة ومن محاصيلها خشب الند والصندل والصمغ العربي والصبر والتنباك وفي سواحل عمان مغاصات كثيرة اللؤلؤ وأشهرها في

مدن سحار ودمار ومسقط وأهل السواحل يشتغلون بصيد السمك وتجفيفه ويصدرون منه كميات وافرة إلى بلاد العجم وغيرها وكذا إلى الخارج. هذه البلاد مشهورة بالهجن التي لا يوجد لها نظير في السير والشكل الجميل والمناظر الحسنة والهجن المذكورة مشهورة بالنياق العمانيات، وكذا يوجد بها الخيل ومن مواشيها البقر والغنم وتهامة عمان حارّة وجبالها معتدلة الهواء وعدد سكان هذا الإقليم يبلغ ثلاثة ملايين على الأقل، وأغلب عربان هذه المنطقة عدنانيون ووادي عمان ينقسم إلى جملة قبائل تحكمها أمراء منها البعض منهم تابع للدولة العثمانية والبعض تابع لأمير مسقط المحتمي الآن بالدولة الإنجليزية ثم يلي بلاد عمان جزائر البحرين وهي شمال مسقط.

جزائر البحرين

جزائر البحرين شمال مسقط وأهم حاصلاتها اللؤلؤ ويصدر منها إلى الخارج بكثرة، وأهل هذه الجزيرة يعدون من الأغنياء بواسطة اللؤلؤ ويبلغ عددهم مائة وخمسون ألفاً تقريباً وأميرها الآن الشيخ عيسى بن علي.

بلاد نجد

نجد هي القسم الواقع وسط جزيرة العرب، وفي منتصف المساحة بين المدينة المنورة وبغداد، وتنقسم إلى قسمين، القسم الأول الشمالي وهو الحائل وما والاه ويسمونه نجد الحجاز، والقسم الثاني يقال له العارض وما يليه ويسمى بنجد اليمن، ومعنى نجد الشيء المرتفع فهو مرتفع عن تهامة وهي الأرض التي تلي البحر ويرتفع سهل نجد عن سطح البحر نحو ألف ومائتي متر، وفي هذين القسمين جبال مشهورة بكثرة خيراتها، منها جبل سلمى طريق وجبل آجاو. يحيط بنجد من الشمال صحراء الشام ومن الغرب صحراء الحجاز ومن الجنوب البادية الكبرى ومن الشرق لسان من الدهناء ولذلك كان الوصول إليها لا يخلو من المشقّة.

قبائل شُمَّر

واقعة في منتصف المسافة بين مكة والبصرة وبهذه الجهة جبل يسمى بجبل شمر، ثم جبل سلمى والأودية التي بينهما خصبة جداً ومزروع فيها كثير من البساتين ويزرع فيها أنواع الحبوب والبقول، ويقدر مسطحها بستين كيلومتراً مربعاً، وبها قرى كثيرة وسكانها نحو ثلاثين ألف نسمة وفي جنوبها قصبة تسمى كفار وأراضيها خصبة جداً وأرضها المنزرعة تقدر بنحو أربعين كيلومتراً مربعاً، ويقدر سكانها بنحو خمس وعشرين ألفاً وحوالى جبل شمر ستون قرية كبيرة تحيط بها غابات النخيل وبعض من أشجار الفواكه، وقبائل شمر يبلغ عددهم بأقل تقدير نحو ثلاثمائة ألفاً تحت إمارة الأمير سعود بن عبد العزيز بن متعب الرشيدي، وهو من قبيلة شمر وأغلب شمر أهل بيوت شعر ومعيشتهم من الغنم والإبل، وعندهم الخيل النجدية الأصايل التي لا يوجد لها نظير، وهي أجمل أنواع

الخيل بالكرة الأرضية، وعندهم الحمير البيض التي هي أجمل وأحسن وأجود صنف. وكذلك البقر عندهم كثير ويوجد بجبالهم البقر الوحشي والفهد والنعام والذئب والثعلب والغزال والأرنب وغير ذلك، ويتبع أمارة ابن رشيد من بعض قبائل نجد ما ينوف عن ستمائة ألف وفي الجهة الشرقية من جهة شمر يميل إلى الجنوب بلاد القصيم، وأرضها وأوديتها خصبة تنزرع فيها الحبوب على اختلاف أنواعها، وكثيراً من أصناف الفواكه كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتين وخلافه، والنخيل بكثرة ومن الخضر البطيخ والشمام وغيرها. وبوسطها غابات واسعة ويقدر عدد أهل القصيم بنحو أربعمائة ألف نسمة ومن القبائل المشهورة بها عقيل بن كلب بن عامر بن صعصعة وينتهي نسبها إلى عدنان وأغلب القبائل بهذه الجهة عدنانية وأهل القصيم بعضهم بدو يسكنون البيوت الشعر والبعض يسكن القرى وعددها يزيد عن خمسين قرية وأشهرها بلدة (بريدة) (وعنيزة) وبلاد القصيم تارة يتغلب عليها ابن رشيد ويحكمها، وتارة ابن سعود وذلك لكثرة خيراتها، فكل منهما يطمح بنظره إليها حتى سئموا أهل القصيم هذه الحالة فطلبوا سنة من السنين من الدولة العلية أن ترسل لهم متصرفاً يحكم البلاد فلبّت طلبهم وأرسلت قوة عسكرية تحت قيادة

المرحوم سامي باشا الفاروقي الفاتح لجبل الدروز عام ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، فتوجه المرحوم من المدينة المنورة قاصداً القصيم فدخلها بلا مقاومة وأقام بها مدة وفي هذا الحين كانت الحكومة استبدادية وعلى غير قاعدة نظامية دستورية وكانت السلطة محتكرة بيد أشخاص من رجال المابين كانوا يتصرفون في بلاد الدولة ويبيعونها بيع السلع فقام الأمير ابن سعود وباع واشترى مع المحتكرين حتى نفذوا مطالبه وهي سحب العساكر والمتصرف من القصيم وفعلاً قام المتصرف بمن معه ورجعت البلاد كعادتها الأصلية، ومن رجال القصيم المشهورين بالتجارة الواسعة والغناء الهائل والجاه بين قبائلهم وهم من أعيانها وعليهم المدار بيت الريادة وكبيرهم إبراهيم بن محمد الربيدي وأخوه عبده ثم بيت الرشود وكبيره فهد وإبراهيم أولاد علي ثم بيت بن شريدة من الموالي وكبراؤهم محمد وفهد وإخوانهم ثم بيت عبد العزيز بن حمود المشيطة من الموالي وهو وكيل ابن سعود في مدينة بريدة والشيخ راشد بن سليمان الرُّقَيْبَه من أعيان أهل القصم، ثم بيت آل بسام من الأعيان أيضاً وهؤلاء أهل تجارة واسعة في أغلب جزيرة العرب والشام والهند.

بلاد العارض

هي جبال نجد اليمن وهي المشهورة بنجد الآن وعيون هذا الجبل غزيرة وأوديته كثيرة وفي غاية الخصوبة وبها المزارع والبساتين بكثرة، وهذه البلاد الآن في حكم ابن سعود وعاصمة حكمه الرياض، ويكثر في هذه البلاد النخيل والحيوانات الأهلية وأخصها الخيل والإبل والغنم بكثرة، وأغلب أهلها أهل بادية وقبائلها كثيرة وأشهرها قبيلة (العجمان) وعددها ثلاثمائة وعشرين ألف تقريباً متوطنون من الرياض إلى لواء الحسا والقطيف، ثم قبيلة المره وهي متوطنة بالجهة الجنوبية إلى حدود عمان وعددها ثلاثمائة وسبعين ألفاً تقريباً، ويقدّر عدد قبائل العارض بمليون ونصف تقريباً وأمارة الرياض عاصمة أمارة ابن سعود وأمارة حائل عاصمة أمارة ابن رشيد تابعتان لمتصرفية نجد، ومركزها مدينة الحسا التابعة لولاية البصرة، ومن قبائلها المنتفك وآل سعدون من قبائل بين

النهرين قبائل معدانْ وآل فتلة وبني حسن والخزاين وأهل السواحل منهم مشتغلون بالتجارة وباستخراج اللؤلؤ والأسماك المجففة، ويصدرونها للخارج وأعمر بلاد الحسا قائمقامية القطيف ثم البلاد المجاورة لها جنوباً إلى بحيرة جزيرة القطر التي هي قائمقاميتان أيضاً وغيرها صحارى رملية كثيرة النبات التي يشرب من الأمطار وهي من أصلح الأراضي لمرعى المواشي من غنم وإبل وخيل، وتكثر المزارع فيها بجهة السواحل وفيها النخيل بكثرة وبعض الفواكه ومن الخضر البطيخ والشمام ومن الحبوب الحنطة والشعير والذرة، والحنطة هي لفظ أهل الحجاز ونجد، وأهل اليمن يسمونها البر، وأهل مصر يسمونها القمح، وبلاد الحسا مشهورة بالحمر الحساوية ويكثر في فيافيها السباع والنعام وحمر الوحش، ومن صناعة أهل هذه البلاد العباءات المشهورة بالوبر الجميل وبعض منسوجات من القطن والحرير، وهواء البلاد معتدل جيد كثير الجفاف صحي إلا في القطيف، فإنه رطب بالنسبة لكثرة المستنقعات التي حوله وتنقسم هذه المتصرفية إلى أربعة أقسام: الأول اللواء ومركزه الحسا وللقسم الثاني قائمقامية القطيف والقسم الثالث قائمقامية القطر والقسم الرابع قائمقامية الجوف وهو خلاف الجوف

الموجود شمال ولاية الحجاز التي حقيقته دومة الجندل وهو تبع الشام وعدد سكان متصرفية الحسا يبلغ خمسة وتسعمائة ألف على أقل تقدير ويوجد بالحسا مياه معدنية بكثرة، وأغلب هذه البلاد تستسقي من الاحساء وبها عيون كثيرة طبيعية تجري على وجه الأرض تشرب منها النخيل والبساتين وبعض البلاد بها أعين صالحة للشرب والزراعة.

ولاية البصرة وبغداد

يتبع ولاية البصرة وولاية بغداد من العرب المنتشرين بهذين الولايتين وملحقاتهما وأغلبهم بوادي أهل بيوت شعر وأهل مواشي إبل غنم وخيل ويبلغ عدد هذه القبائل على أقل تقدير نحو أربع ملايين ونصف ومن قبائلها قبائل الدليم وقبائل الشاوية وهم قاطنون شرق الفرات ثم التابعون لولايات سوريا من العربان وأغلبهم بوادي أهل بيوت شعرماينوف عن مليونين ونصف وهم أهل مواشي كذلك والمعروفون من قبائل سوريا قبيلة بني عطية وقبيلة بني سخر وقبيلة عنزة وقبيلة الشرارات وقبيلة الحويطات وهذه القبائل عدنانية وخلاف هذه القبائل قبائل نجهل أسماؤها ولو أحصيت جزيرة العرب إحصاء حقيقياً لظهر أنها أضعاف ما ذكرنا من العرب الخلّص.

نسأل الله أن يجمع كلمتهم على الحق واتحادهم تحت ظل الراية العثمانية والذود عنها والتنبه للدسائس الأجنبية ويؤيد الإسلام بروح من عنده حتى يعود إلى ما كان عليه من العزّ الذي لا يضاهى والشرف الذي لا تدرك له نهاية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.